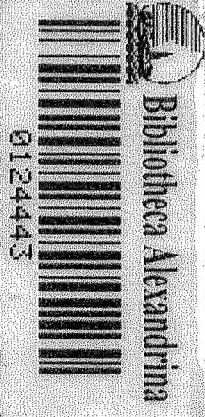


الزُّكُورُ عَبْدُ الْحَسَنِ الْحَسِينِي

العصرُ التكنولوجي وإستخدام

دراسة نقدية



العصر التكنولوجي وإسلام

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
1406 هـ - 1986 م

 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف : ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٢٩٦

بيروت - المصيطبة - نايبة طاهر - هاتف : ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣٢٠
ص . ب ٦٣١١ / ١١٣ تلکس : ٢٠٦٦٥ LE - ٢٠٦٨٠ ليتاني

الدكتور عبد الحسن الحسيني

العصر التكنولوجي وإسلام

دراسة نقدية



إهداء

إلى الوالد السيد هاشم معروف في كتابه
« سيرة المصطفى » بقلمه :

« ليست سيرتك ، يا رسول الله ، إلا قصة إنسانٍ قد اتسع قلبه
لآلام البشر ومشكلاتهم ، فناضل وجاهد ، ووقف بحزمٍ وثباتٍ وقوة ،
في وجه القوى الغاشمة المفترسة ، من أجل الإخاء بين الناس ، ومن أجل
العدالة والحرية ، ومن أجل المحبة والرحمة . . . ومن أجل مستقبل أفضل
لجميع الناس بلا استثناء : الذين يؤمنون بك بنبوّتك ورسالتك ، والذين
لا يؤمنون بهما على السواء » .

« إنّ الملايين من المسلمين لا يعرفون عن سيرتك ورسالتك التي
تشدهم الى الأرض وخيراتها في آنٍ واحد . . إنهم لا يعرفون عنها إلا ما
ألصق بها من القشور والحوارق والأساطير . . وهم إذ يعظمونك
ويصلّون عليك ويسلمون ، يفعلون ذلك من تقليدٍ موروث بكلمات
يُدّور على ألسنتهم في كل يومٍ مئات المرات ، يحسبون أنّهم عظموك
وقدّسوك إذا صلّوا وسلّموا عليك حتى ولو انحرفوا مع أطماعهم
وشهواتهم عن تعاليمك وسيرتك ورسالتك التي تحدّد الاسلام بالعمل لا

بالقول وحده ، وبالواقع لا بالشعارات الجوفاء ، وبالتعاون مع الآخرين والعمل المخلص لخير الناس لا بالإستثثار واستغلال الانسان لأخيه الإنسان . »

« لقد اتخذوا من سيرتك قصةً يتلونّها يوم ميلادك ومبعثك صاغوها بكلماتٍ ونُعوتٍ جوفاء تملأ بها حناجر أولئك الذين يتاجرون بميلادك ومبعثك ومعراجك لأغراضٍ لا تمت إلى الدين بصلّةٍ من الصّلات ، وانصرفوا عن واقعها وجوهرها وما فيها من دروس وعظات . . كما انصرفوا عن أوامر قرآنك ونواحيه ومضامينه وما فيه من دعوةٍ للجهاد والكفاح والصبر والتضحيات في سبيل الحق ، والنّمسك بكمكارم الأخلاق . . لقد انصرفوا عن ذلك أو أكثر . . إلى التّغني به في الإذاعات من شرق الأرض وغربها ، وحتى من إذاعة إسرائيل وصوت بريطانيا وغيرها ممّن يحاربون رسالتك وقرآنك لأنهما يشكلان خطراً على وجودهم وأطماعهم ومصالحهم . »

« لقد ضحّيت كثيراً في سبيل الله وخير الإنسان ، وتحملت ما لا يطيقه أحد من الناس ، لتضع حداً للجشع والاستغلال والعنصرية ، واستطعت بعد جهاد طويل ومرير أن تسيطر على تلك الأوضاع الفاسدة التي كان يعاني منها إنسان ذلك العصر ، ووضعت الحلول لكل ما يعترض البشرية من صعاب ، ويعرقل مسيرتك نحو مستقبل أفضل يضمن لكل إنسان عزّته وكرامته وسعادته في الدّارين (. . .) ونهيت إلى الركون والإطمئنان إلى الظالمين . »

تقديم

دراسات إسلامية مقارنة لقضايا الحياة الفكرية والعملية

بقلم العلامة السيد محمد حسين فضل الله

قد يكون من العناصر الأساسية لنمو أي فكر وتطوره على صعيد العلم أو في حركة الحياة ، أن يدخل حاملوه في عملية مواكبة لتطور الحياة في مناهجها ووسائلها ومفاهيمها الجديدة . وفي عملية مقارنة للأفكار المطروحة على الساحة ، من أجل اكتشاف عناصر القوة والضعف في شخصية الفكر الذي يجملونه ، ومدى قدرته على احتواء الساحة ، وعلى الثبات في ميدان الصراع ، وعلى مواجهة المشاكل الجديدة التي تبحث عن حلول واقعية شاملة .

وهذا هو ما نحتاجه في دراستنا للواقع الحركي للإسلام الذي يطرح نفسه في الساحة كبديل من الأنظمة الموجودة في الحياة الآن . فقد نشعر أننا بحاجة إلى اكتشاف عناصر القوة فيه من خلال دراسة منهجه في الفكر - وحركته في مواجهته للمشاكل الواقعية في الواقع . ولا سيما أن الإسلام لا يزال يعيش في أجواء الفكر النظري على مستوى القضايا العامة في الحياة في الوقت الذي نجد أن الأفكار الأخرى عاشت في عمق الواقع ورافقت كل المشاكل المطروحة في الساحة .

وهذا هو ما انطلق منه المفكرون المسلمون ، فحاولوا أن يثيروا الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والنفسية ليقارنوا بين النظرة المادية التي يقوم عليها التفكير الحديث وبين النظرة الإسلامية التي ينطلق منها الفكر الإسلامي في حركته وشريعته . وربما كان من أكثر هذه التجارب نجاحاً ، تجربة الشهيد السيد محمد باقر الصدر في كتابيه « فلسفتنا » و« إقتصادنا » . فقد استطاع أن يكتشف الأسس الفكرية التي يقوم عليها الإسلام في نظريته الفلسفية والاقتصادية في مقارنة عميقة مع الماركسية والرأسمالية .

وهذا البحث الذي أماننا - الذي كتبه الدكتور عبد الحسن الحسيني يعتبر تجربة حية لاكتشاف المسار الاسلامي في المجتمع الجديد الخاضع للتطور العلمي في وسائل المعلومات ، والذي يفتح الأفاق لأوضاع ومشاكل جديدة على مستوى حياة العمال ، ويؤثر على حياتهم فيما يفرضه من حاجة إلى النمو العلمي ، وفيما يتركه من نتائج على صعيد تقليص حجم العمال فيما يحتاجه الواقع من جهودهم على مستوى حركة الانتاج مما يخلق صعوبات كثيرة أمام مستقبلهم ، ويؤدي بالتالي إلى مشاكل اجتماعية .

إستطاعت هذه التجربة أن تواجه ذلك بالمقارنة بين النظرة الإسلامية التي ترصد الواقع الجديد ، من وجهة نظر الباحث ، وبين نظرة الفكر الرأسمالي والماركسي .

وهي تجربة غنية جدية بالدراسة والتأمل والمناقشة لأنها تفتح الباب أمام أحاديث كثيرة باعتبارها نافذة مظة على كثير من علامات الاستفهام التي يثيرها الواقع ، ويتحرك معها هذا البحث .

إننا نقدر للدكتور الحسيني جهده ونرجو له المزيد من هذه المحاولات
الناجحة ونأمل أن ينطلق أصدقاؤنا الجامعيون في الدراسات الإسلامية
المقارنة التي تستطيع أن تثير التفكير نحو كثير من قضايا الحياة الفكرية
والعملية على أساس النظرة الإسلامية في أكثر من صعيد .

إنها مسؤولية الفكر الباحث عن الحقيقة من خلال الدراسة والعمق
والتأمل ، في الطريق الى تركيز الواقع على أساس ثابت متين .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مما لا شك فيه ، إن للإقتصاد ، والإقتصاد السياسي الأثر الكبير في حياة البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وبناءً على هذه العلوم ، وعلى النظريات المستوحاة منها ، يقوم النظام السياسي بوضع برامج الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ولست هنا ، ومن خلال هذا الكتاب الصغير والمدخل ، في موقع محاكمة وتقييم للأنظمة والدول والأحزاب ، ولكني ومن خلال مطالعاتي قبل وبعد أن أصبح مهندساً تكوّن عندي عدد من الأفكار حول الثورة العلمية الصناعية الحديثة وآثارها ، وكيف سيكون لالة الأثر الكبير في تحديد طبيعة النظام الإقتصادي ، كما تكوّن عندي ملاحظات كثيرة حول الديمقراطية وإقامة مجتمع الحق والعدالة والحرية والمساواة التي تفتقدها أغلب الدول . وبالرغم من كوني مهندساً في الكمبيوتر ، ولم أرتبط أبداً وفي أي يومٍ بالأحزاب والتنظيمات ، فإنني كنت محباً لفكرة المطالعة والقراءة والكتابة ، ولقد كان لمكتبة والدي السيد هاشم معروف الحسيني الأثر الكبير في تنمية هذه الرغبة ، كما كانت لأحاديثه والمناقشات التي

كانت تدور معه الأثر الكبير في تنمية ذهنية التفكير المنطقي الحوارى بعيداً عن التشنّج وبروح ديمقراطية .

لقد كان والدى رحمه الله من كبار الكتاب ، ومن عشقوا الكتاب وبحثوا وحققوا ، وكنت دوماً مُستمعاً ومناقشاً ، وهو ينصح ويدل ويُعرّف بعيداً عن التعصب المذهبى والفكرى ، بل صريحاً منفتحاً على جميع الأفكار والأديان .

وفى بعد كانت لكتب العلامة السيد محمد باقر الصدر ؛ إقتصادنا ، فلسفتنا، والبنك الأيوبي في الاسلام ، الأثر الكبير أيضاً في نفسى وفي صياغة أفكارى التى كونتها خلال دراستى في لبنان والخارج معتمداً عليها وعلى أفكار والدى وعلى ما اكتسبته من علوم خلال دراستى .

ولست هنا من خلال هذه الدراسة الصغيرة ، في موقع الدعوة لنظام إقتصادى معين ، ولكنى أريد أن أقول إن الأفكار التى جاءت من السماء وبشّرت بها الرُّسل والأنبياء ، ودعواتهم إلى زهوّ الباطل والدفاع عن الحق ، وإقامة مجتمع العدل والكرامة والمساواة والحرية ، في ظل نظام صناعى وزراعى متطور ، لا مجال فيه لتكديس الأموال وحرمان الآخرين من حقوقهم هو الأفضل لبناء نظام إجتماعى سياسى إقتصادى ، قد لا يؤدي إلى مشاكلٍ داخلية ، إذا استطعنا صياغة هذه الأفكار والأمور صياغةً تُؤمّن لنا عدم المساس بالمبدأ العام وهو إقامة مجتمع الحق والعدالة والمساواة والرخاء والديمقراطية .

معالم الثورة التكنولوجية الحديثة

في منطقة ايشي وسط الأرخبيل الياباني ، مصنع لسيارات تويوتا يتصل عبر طريق خاصة بمرفأ خاص على المحيط الهادئ . من هذا المرفأ تشحن السيارات على مائ أربع وعشرين ساعة إلى القارات الخمس . إنه « المصنع الذي يخلو من العمال » . ففي كل جانب من العنبر وعلى طول سلاسل التركيب المتوازية يعمل الإنسان الآلي الذي يفحص الهياكل والقطع الخارجية والداخلية واحدة واحدة ويجمعها ويركبها ويصلها ويلحمها ويظليها بالدهان ويدقق في صلاحيتها للعمل . وفي الجانب الآخر تخرج السيارات للشحن .

هذه صورة من اليابان عن المجتمع المعلوماتي الجديد الذي بدأ في أوروبا وأميركا . إنه نتاج الثورة التكنولوجية الجديدة منذ السبعينات ولا تزال في تطور مستمر على أسس وقواعد تختلف اختلافاً جذرياً عن مرحلة التصنيع التقليدية التي سادت أوروبا حتى ذلك الوقت . والكومبيوتر والمعلوماتية قفزة نوعية في عملية التطور أدت إلى مفاهيم جديدة في الصناعة وحاولت « أنسنة الآلة وأتمتة الإنسان » .

وكما أدت الثورة الصناعية بعد القرن الثامن عشر إلى ظهور طبقات

اجتماعية وتيارات سياسية متفرقة ومتناقضة فمما لا شك فيه أن الثورة التكنولوجية الحديثة ستؤدي الى فرز جديد للمجتمعات البشرية حتى تستوعب هذه المرحلة الجديدة من الانتاج والتصنيع. وبالفعل بدأ العديد من العلماء يتحدث عن المجتمع المعلوماتي ودور الإنسان فيه ووضع البرامج الخاصة التي تستطيع بواسطة الأجهزة الإلكترونية تسيير العمل في الإدارات والمتاجر والمصانع والمنازل والمدارس والمستشفيات حتى في لعب الأطفال الصغيرة والأسلحة الفتاكة ومراكز الأبحاث الفضائية والمحيطات .

هذا المجتمع المعلوماتي في حاجة إلى إعادة النظر في السياسة التربوية لأنه في حاجة إلى اختصاصيين ، مؤهلين لتشغيل الآلات الجديدة .

ويمتاز المجتمع المعلوماتي من الناحية العملية بالآتي : قدرة انتاجية كبيرة ، عدم الاعتماد الكلي على اليد العاملة ، السرعة في الانتاج ، انخفاض الكبير للأسعار ، عدم اعتماده على القدرة الجسدية للفرد ، الزيادة في الأبحاث العلمية مما يساعد على تطور التكنولوجيا ، تنمية روح الإبداع ، مساواة أفراد المجتمع ، وظائف جديدة ، تسهيل نقل المعلومات ومساعدة الشعوب الفقيرة على التطور ، مراقبة عمليات الانتاج والتصرف والتسويق بسهولة وسرعة ، خفض نسبة الوفيات عن طريق برمجة المستشفيات ، تطور الريف ومكننة الزراعة .

وما يهمننا في هذا البحث ، وفي هذه الثورة الصناعية ، ومن هذا التطور هو أن يبقى المجتمع عادلاً ، وأن يبقى الحق سائداً ، وأن يتساوى الأفراد في الحقوق والواجبات أو بكلمة أخرى أن يتأمن المجتمع العادل .

هذا المجتمع العادل وبنظري لن تستطيع تأمينه أي من الأنظمة الاقتصادية السائدة ، لا الماركسية ولا الرأسمالية ، والبديل عن كل هذا هو مجتمع عادل متدين يتبع مبادئ وأصول الأديان السماوية التي أمرنا الله بها وأوصانا بأن نحافظ عليها ، وعلى سلوكنا وتصرفاتنا ومعاملتنا للآخرين ، ونحير مثل على ما أوصانا الله به هو ما ورد في دين محمد ﷺ الاسلام من دعوة إلى الحق والإبتعاد عن الباطل ومساعدة المحتاجين والفقراء وتأمين حاجات المجتمع بكامله كما ودعانا إلى العمل والعلم في سبيل مجتمع راقى متطور .

1 - نظام الإنسان - الآلة

إنه النظام الذي يربط لدى قيامه بمهمة معينة ، الإنسان بالآلة بعلاقة مباشرة وعكسية . ويتألف من قسمين . أولاً : القسم التكنولوجي أو الآلة . وثانياً : الإنسان فرداً أو مجموعة تراقب عمل الآلة . وإذا حلت الآلة محل الإنسان حصلنا على عمل جديد من مستوى تكنولوجي مرتفع ومعقد يكون حضور الإنسان فيه قليلاً ، وهذا ما نحصل عليه بواسطة أنظمة الأوتوماتيك . ومع ازدياد تعقيد الأنظمة الصناعية المؤتمتة تزداد صعوبة الإدارة والمراقبة . هنا يزداد دور الإنسان الابداعي في البرمجة والتحكم والمراقبة ، وكل خطأ يحصل نتيجة العوامل النفسية للإنسان يؤدي إلى سلبات كثيرة . ما يفرض علينا دراسة خاصة على الإنسان كجزء من الشبكة العاملة « إنسان آلة » والنظام إنسان - آلة يؤمن عملية انتقال متواصلة للمعلومات من الآلة إلى الإنسان وبالعكس .

ثمة اختلاف جوهري بين عمل الإنسان وعمل الآلة . إذ يتجه عمل

الإنسان نحو هدف معين يسيطر على نفسيته وعقليته . أما الآلة فتخدم هذا الهدف . ويبقى الإنسان الحلقة الأساسية من النظام الذي يتمتع بخصائص فريدة في اختيار أفضل الوسائل للوصول الى الهدف .

عند مقارنة مقدرات الإنسان والآلة في العمل نلاحظ :

أ- 'بإستطاعة الإنسان أن يقوم بتجميع وتنفيذ مهام عديدة أثناء العمل وبإستطاعته أيضاً إدراك وفهم نوعية العمل من الناحية الفنية . وبالتالي بإمكانه تحسين ظروف أداء العمل إذا سمحت له الآلة من حيث قدرتها ، عملها ، سرعتها . . . وإلا عليه أن يعيد تحضير الآلة للعمل من جديد . الإنسان يستطيع فهم عمل الآلة بينما لا يستطيع هي فهم نوعية عمل الإنسان .

ب - يفوق الإنسان ، الآلة من حيث قدرته على استيعاب وتجميع المعلومات بينما لا تستطيع الآلة فهم معلومات خارج تلك الموجهة إليها مباشرة .

ج - تفوق الآلة الإنسان من حيث سرعه استيعاب وفهم المعلومات إلا أن الإنسان يفوق الآلة من حيث القدرة على اختلاف واستنباط الطرق لتحليل المعلومات وتنفيذ الأوامر بشكل مختلف .

د - تفوق الآلة الإنسان من حيث الدقة والسرعة في تنفيذ العمل والحصول على النتائج .

هـ - يفوق الإنسان الآلة من حيث كمية العمل والأوامر المنفذة وطرق تنفيذها لأن الآلة تقوم بتنفيذ عمل معين واحد في كل لحظة وبطريقة واحدة .

و- وبينما يكون الإنسان معرّض للمشاق النفسية والجسدية نجد أن الآلة لا تعرف التعب واليأس والكلل .

إن الفصل بين إمكانيات ومقدرات الآلة والإنسان لأمر صعب . وتوزيع العمل بين الآلة والإنسان يتعلق بتصميم الآلة والمهام المطلوبة منها في إدارة عمل ما ومراقبة النظام أثناء القيام به . وهذا يعتمد على قدرة الإنسان على الاستيعاب ، الإنتباه ، الذاكرة ، قوة الحركة . . . في ظروف معينة . كما يعتمد من جهة أخرى على إيجاد الحلول الأفضل لتطابق مقدرات الإنسان مع الشروط التي تضعها له الآلة . فالعمليات الصعبة التي تفوق مقدرات الإنسان الذهنية والجسدية تقوم بها الآلة .

وصعوبة الفصل بين مهام الإنسان والآلة تكمن في صعوبة إيجاد المعادلة الرياضية الكمية أو الخصائص التي نستطيع بواسطتها مقارنة إمكانيات الإنسان والآلة في ظروف معينة وعامة بالنسبة لجميع الأفراد . لهذا يتبع العلماء طريقة تقوم على عملية تجميع كمي لخصائص ومقدرات الإنسان والآلة في ظروف معينة . وثمة طرق تقوم على أساس إحصائي وتخميني .

وتقدير الخطأ في عمل التنظيم « الإنسان - الآلة » ناتج عن الخطأ في تقدير الإنسان لبعض المعلومات الطارئة التي أرسلتها له الآلة . ينجم الخطأ في التقدير عن الإرهاق والتعب والحالة النفسية والمستوى الغير متطور للإنسان . كما ينجم عن الخطأ في التقدير المنطقي لمجريات الأمور . وينتج أيضاً عن عوامل آلية وأخطاء ميكانيكية في تصميم الآلة تؤدي الى أخطاء في دقة المعلومات المرسلة الى الإنسان .

2 - الخصائص المعلوماتية للإنسان

ليس « الإنسان - الآلة » حلقة في التنظيم الإداري فقط بل هو قناة اتصال . فالنظر الى خصائصه الأساسية ، كخصائص معلوماتية أو كمية من المعلومات المستوعبة ، والمحللة والمُرسلَة ، والسرعة في التقاط وإرسال المعلومات يعتبر أمراً مهماً في تحديد دور الإنسان في حلقة العمل . وبالتالي فإن تنمية خصائصه المعلوماتية (تركز على حواسه الخمس) تعتبر، إضافة الى التفكير والتحليل ، والتفكير المنطقي مهمة أساسية في تطوير دور الإنسان لأن العلاقة بين الإنسان والآلة تعتمد وترتبط بشكل وثيق على مقدرات الإنسان في الاستيعاب والتحليل الذهني .

الآثار الاجتماعية والاقتصادية لثورة التكنولوجيا

ما زال علماء الاجتماع والاقتصاد يتوقعون ، ويتنبأون بحدوث تغييرات إجتماعية ، سياسية وإقتصادية في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية ، ناتجة عن التطور الكبير الذي أحدثته الصناعة الحديثة والتطور التكنولوجي الكبير الذي ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين .

ويحاول المحللون وعلماء الاجتماع والاقتصاد اكتشاف وتوقع هذه التغييرات والآثار الناتجة عن ذلك . وبالرغم من أن الدراسات لا تزال قليلة في هذا الحقل ، فإننا سنحاول هنا إلقاء الضوء على بعض هذه الآثار معتمدين على ما وصل إلينا من دراسات قليلة في هذا الموضوع وعلى "مستقبل" - "الآثار" المستفيدين من الدراسات الإسلامية الاقتصادية الموجودة بمتناول يدينا .

1 - كمية العمل

تقول الاشتراكية « إن كمية العمل هي الطاقة التي تنفقها العضلات والأعصاب والدماغ ، وليس ممكناً قياس هذه الطاقة مباشرة ، فالمجتمع

يستخدم امتداد زمن العمل لتحديد مقياس كمية العمل ، إلا أنه امتداد لا يعكس نفقات العمل كلية ، لأن ساعة من العمل المضني أو الشديد تمثل قسماً أعظم من النفقات التي تتطلبها ساعة من العمل الأيسر نسبياً . وتباين شدة العمل يمكن أن يظهر حتى بين شغيلة اختصاص واحد ، ولهذا تحدد أجرة العمل حين تتساوى الشروط ، تبعاً لما يقدمه كل شغيل من كمية المنتج .

والحقيقة ، إن شروط العمل ونوعية العمل المنفذ لجهة (يسره أو تعقيده) والأهمية الاجتماعية لفرع الانتاج يجب أن تدخل في مفهوم نوعية كل شغيل . وعندما نحدد نوعية العمل ، يتمتع مستوى تأهيل الشغيلة بأهمية أساسية . وهنا يتم حساب مستوى تأهيل الشغيلة وفق معدلات ورتب محددة . أما سلم الأجور الشهرية فيعكس تأهيل المهندسين والمستخدمين والشغيلة القياديين . وترى الاشتراكية أن « أجور العمل تتحدد في شكل يتناسب طردياً مع تأهيل الشغيلة . وكلما كان هذا التأهيل أرفع زادت الأجرة » .

وفي العصر التكنولوجي ، حيث تتمتع الآلات بمقدرة خارقة في الإنتاج يكون العطاء من المنتج متعلقاً من جهة بالآلة المنتجة ، ومن جهة أخرى بالتأهيل الشخصي للفرد العامل على قسم المراقبة وإدارة عملية الإنتاج . لأن المصانع المؤتمتة تؤدي بدقة عملها ولا تحتاج إلى تدخل مباشر من الإنسان إلا في بعض الحالات الطارئة . ومشاركة الإنسان من الناحية الجسدية وحتى من الناحية الفكرية في صناعة المنتج وفي دورة الإنتاج تعتبر ضعيفة لأن الآلة تقوم بعملية الانتاج وتحدد الزمن اللازم للمنتج (وذلك حسب التصميم الموضوع لها من قبل الإنسان) .

وقد يحصل أن الفوارق بين عمل الشغيلة أو العمال تكون قليلة ، كما تكون نسبة التأهيل أو معدلها بين مختلف أفراد العمال تكون خفيفة ونادرة لأن تطور التكنولوجيا المتزايد وعلم النفس الهندسي يؤديان الى زيادة تأهيل العمال وإزالة الفوارق بينهم من جهة ، وبين العمال والمهندسين ، التقنيين من جهة ثانية ، مما يؤدي الى تخفيف حدة الفروقات بين أجور جميع العاملين في المركز الإنتاجي الواحد .

وتقود الثورة التكنولوجية ، والمجتمع المعلوماتي الجديد إلى إزالة الفوارق بين تأهيل العاملين عامة ، وإلى تخفيض حدة الفروقات في الأجور وعدم الاعتماد على شروط العمل وقوته ودرجة تعقيده أو مدى صعوبته وخطورته على البشر ، كما في المناجم أو المحيطات أو الفضاء حيث العمل يشكل خطراً على حياة البشر وهو على مستوى من الصعوبة والتعقيد فتم الاستعاضة عنه بالآلة إلى حد كبير (فالإنسان الآلي الروسي لوناچود الذي نزل على سطح القمر ، قام بنفس العمل والمهمة التي قام بها الأمريكي أرمسترونغ الذي هبط بنفسه على سطح القمر) .

ومن الناحية المادية يجب أن تؤدي الثورة التكنولوجية الى زيادة أرباح أصحاب العمل ، بل ويجب أيضاً أن تؤدي إلى زيادة أجور العمال وتحسين مستواهم المادي والإجتماعي للوصول الى مستوى معيشي مرتفع لجميع أفراد الشعب .

لذلك كله نرى أن أهم نتائج هذا العصر هي إزالة الشروط الصعبة للعمل وإزالة وتخفيف حدة الفروقات الاجتماعية .

2 - انتاجية العمل

يحاول الإنسان دائماً في مختلف العصور أن يحقق انتاجية معينة لجهده البشري يحقق له إشباعاً لحاجاته . فمن هنا أخذ يفكر في تطوير وسائل وأدوات العمل حتى وصلت هذه الأدوات الى المستوى الموجود عليه الآن بشكل تؤدي هذه الوسائل وظائفها دون تدخل الجهد البشري فيها . فغاية الإنسان في إشباع غرائزه وإراحة نفسه تتطفيان دوماً إليه حين يحاول إيجاد وسائله الجديدة للعمل . إضافة لهذا فهناك العوامل السياسية التي تفرض نفسها على أدوات العمل ، حيث أن التقدم العسكري يؤدي غالباً ، إلى تقدم سياسي واقتصادي . وبالتالي فإن حاجة الإنسان لاشباع غرائزه الفردية بالهيمنة والتسلط السياسي والاقتصادي يؤدي الى تطوير وسائل العمل لديه .

ولتعريف الكفاية الإنتاجية يستعمل عدد من العلماء التعريف التالي ، وهو أن « الكفاية الإنتاجية عبارة عن النسبة بين حجم الإنتاج وكمية العمل التي استخدمت في تحقيقه » . وبالتالي فحسب هذا التعريف فإن عصر الثورة التكنولوجية الحديثة والمصانع الأوتوماتيكية يتمتع بكفاية انتاجية عالية جداً لأن حجم الإنتاج كبير جداً بالنسبة الى كمية العمل . ولكن برأيي أن الكفاية الإنتاجية للعمل وعلى مستوى بلد معين هي عالية حيث يكون الإنتاج كبيراً ، وبكلفة زهيدة (وهو ما يحصل بالفعل في البلدان ذات الصناعة المتطورة في اليابان مثلاً حيث نرى أن أسعار الكماليات زهيدة جداً والإنتاج كبيراً) .

أو بعبارة أخرى تعتبر الكفاية الإنتاجية للعمل مرتفعة حيث يتحقق

المستوى المعيشي المتطور ويحصل كل فرد من أفراد المجتمع على كفايته من الحاجيات الضرورية والكمالية وبأسعار يستطيع تأمينها كل فرد من أفراد المجتمع .

فقياس انتاجية العمل على أساس ساعات العمل أو على أساس قسمة حجم الانتاج على كمية العمل المبذولة (من جهد جسدي وعقلي ..) في تحقيقه غير صحيحة في عصر الصناعة الأوتوماتيكي ، لأسباب عديدة أهمها أن الصناعات الحديثة المؤتمتة هي التي تفرض حجم الانتاج في الوقت المعين والجهد البشري لا أهمية له نسبة إلى أهميته في الصناعة التقليدية الكلاسيكية .

إضافة لهذا كله ، فإن الصناعات الحديثة المؤتمتة تمجد وبشكل كبير من دور العوامل المؤثرة على إنتاجية العمل . فالعوامل التنظيمية والنفسية والعوامل العامة من جغرافية وطبيعية لها تأثير محدود ، بينما تلعب العوامل الفنية ومستوى تأهيل الفرد العامل وسوق التصريف دوراً هاماً في تحديد انتاجية العمل وتحجيمه . فمصنع للسيارات مثلاً ، في اليابان سينتج على صعيد المثال عشر سيارات ، بينما لو أقيم المصنع نفسه في لبنان أو في بلد عربي آخر سينتج خمس سيارات ، لأن تأهيل الفرد الياباني وعقليته التقنية أعلى من مستوى تأهيل وعقلية الفرد اللبناني .

ولكن قد يحدث بأن السوق اللبناني قد يحتاج الى عشرين سيارة أو أن الفرد اللبناني باستطاعته تصريف عشرين سيارة ، فهذه الحاجة ستؤدي بعد فترة زمنية بسيطة إلى تحقيق انتاجية تعادل عشرين سيارة .

3 - قياس العمل

بشكل عام يمكن تعريف العمل بأنه مجهود بشري يبذل لانتاج سلعة معينة . ولقد عرّفه ماركس بأنه استخدام لقوة العمل التي يمكن تعريفها بأنها مجموع القدرات الجسدية والعقلية التي توجد في الكائن البشري . ولقياس العمل لا بد من قياس الانتاج الذي نصنع فيه العمل . وهكذا ففي المصنع الكلاسيكي ، نحتاج في إنتاج وحدة انتاجية معينة إلى كمية من العمل البشري المتمثل بالجهد الذي يقاس بالوحدات الزمنية ، كما ونحتاج الى كمية عمل متمثلة بعمل الآلات ، أي لو افترضنا أن الإنسان يصنع المنتوجة بدون آلة ، فكم يتطلبه ذلك من ساعات عمل؟ . كما يدخل في قياس العمل ، العمل التنظيمي والمراقبة والإدارة والأعمال المباشرة وغير المباشرة ، من دراسات وأبحاث الخ . من هنا نرى أن قياس العمل في المصنع الكلاسيكي لا يخلو من الصعوبة . ولكن المصنع المؤتمت حيث تعمل الآلات وفقاً لتصميم معين ونظام متبع . فإن انتاجية العمل في المصنع وكميتها خاضعة لشروط واضحة ومعروفة ، عند ذلك فقياس العمل في المصنع المؤتمت يصبح سهلاً وهو عبارة عن قوة انتاج المعمل بحد ذاته هذا إذا لم نأخذ بعين الاعتبار العمل المبذول في إيجاد المصنع المؤتمت وتكوينه وهو عبارة عن الفترة الزمنية اللازمة في الأبحاث والدراسات لاختراع المعمل وتصميمه . (مع العلم بأن الأبحاث والدراسات تُصرف مرة واحدة ولا حاجة للعودة إليها عند انتاج مصنع آلي آخر) .

4 - قيمة المادة وقيمة العمل

لكل عمل من الأعمال قيمة معينة . وتلعب في تحديد قيمة العمل

وقيمة المادة عوامل عدة منها : قوة العمل ، المواد الأولية للمادة ، الجهد البشري اللازم لتكوين المادة والحاجة للمادة . . . الخ . ويرى النظام الاشتراكي (أن العامل هو الذي يحدد ويخلق القيمة التبادلية للمادة التي يتفق فيها عمله) . فلا قيمة للعمل بدون العمل البشري المتجسد فيها . وما دام العامل أساس الانتاج فمن الطبيعي أن يكون توزيع الانتاج على أساس العمل لكل حسب عمله أو على أساس الحاجة لكل حسب حاجته (دون تحديد الحاجة ، ودون تحديد العمل) .

وبما أن حاجات الفرد هي غير محدودة ، وتخضع عادة لنفسيته وغرائزه وأنانيته ، فالفرد الانسان يحب الربح السريع ويرغب دائماً في الكفاية الذاتية على جميع الصعد . فمهما جمع الإنسان من المال فلا يقف عند حد ما ، بل سيطلب ويعمل للمزيد . لذلك فحاجة الإنسان لا يمكن أن تكون مقياساً للحصول على الإنتاج للغرائز البشرية والطبيعية المكونة لشخصيته والتي لا يجد منها سوى الدين الذي يبشر بالآخرة على حساب أعمال الدنيا الخيرة .

وقد تكون الحاجات المحددة في النظرية الشيوعية هي الحاجات الضرورية للفرد . ولكن ما يعتبره فرد ضرورياً لا يعتبره الآخر ضرورياً . وكما قلنا مهما حصل الإنسان على حاجات لا يعتبر نفسه مكتفياً ، وإذا تم فرض مقياس الحاجة عليه فلسوف يعتبر ذلك غبناً لحقه من ثم لن يؤدي النوعية أو كمية العمل السابقة الضرورية والمطلوبة منه ، وهذه ظاهرة منتشرة كثيراً في المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية إذ نرى وفي شكل كبير ظاهرة الإهمال في العمل ، وعدم الإهتمام الكافي بالعمل ، وتغلب روح الأنانية وحب النفس على الأفراد .

وبنظر الرأسمالي وأرباب العمل في المجتمعات ذات الاقتصاد الحر ، إلى إن قيمة العمل هي عبارة عن معدل الربح الذي يحصل عليه ، وقيمة المادة هي تلك التي تؤمن له الربح الأكبر والتي تستطيع أن تشبع له غرائزه بالربح السريع . فالمادة التي تؤمن له الربح الأكبر هي تلك التي تملك القيمة الأكبر ولا يوجد مشاركة بينه وبين العامل على قيمة العمل وقيمة المادة .

ولقد حاولت المجتمعات الرأسمالية الحد من تسلط أصحاب العمل على العمل والعامل ، عندما سنت بعض القوانين الضريبية ، وحددت ساعات العمل والحد الأدنى للأجور ، ولكن يبقى الأمر النهائي لصاحب العمل عند مزاولته لأية مهنة صناعية أو زراعية .

وفي المجتمع المعلوماتي والثورة التكنولوجية الحديثة ، لا يتمتع الجهد البشري بأية قيمة تذكر نسبة إلى العصر الصناعي الكلاسيكي الذي كان سائداً في أوروبا من القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين فالمصانع الأوتوماتيكية التي ظهرت في السنوات القليلة الأخيرة تستطيع الانتاج بقدرة كبيرة فبعد برمجة تلك الآلات من قبل عدد من المصممين والمهندسين ، تتابع الآلة عملها في الإنتاج ، المراقبة أو إدارة فقط من قبل الإنسان ، ولكن دون أن يكون له دور فعال في عملية الانتاج (كما نرى ونلاحظ في مصانع السيارات الحديثة ومعامل الصلب والحديد والمناجم والزراعة ...) .

فقيمة العمل والجهد البشري لا تستطيع وحدها تحديد قيمة العمل وقيمة المادة ، كما لا تستطيع تحديد عملية وتوزيع إنتاج العمل . إن الذي يحدد قيمة العمل وقيمة المادة سيكون قيمة المادة الخام ، والوقت اللازم

لانتاج المادة . أما سعر المادة فتحدده عملية الطلب عليها بحسب قانون العرض والطلب السائد . وفي المجتمعات الاسلامية . هذا السعر ستحدده القوانين الاسلامية الخاصة بتأمين الحاجات الضرورية لكل أفراد الشعب . وتأمين العدالة الاجتماعية .

فقيمة المادة ستكون في المجتمع المعلوماتي كما في المجتمع الإسلامي حصيلة الحاجة الاجتماعية في الحصول عليها كما رأى سماحة العلامة السيد محمد باقر الصدر في كتابه اقتصادنا ، « أن الفرد هو الذي يمنح المادة قيمتها التبادلية بعملة ، فالمواد الطبيعية كالخشب والمعادن وغير ذلك من الثروات الطبيعية لا تستمد قيمتها (في رأي الإسلام) من العمل بل قيمة كل مادة هي حصيلة الرغبة الاجتماعية العامة في الحصول عليها » .

فالعرض والطلب عنصران أساسيان في تحديد قيمة المادة ، وهذا ما يؤدي اليه أيضاً المجتمع المعلوماتي حيث المصانع الاوتوماتيكية تنتج بعدد قليل من العمال لا يؤثر على نسبة الانتاج وبالتالي فقيمة المنتج لن تتأثر إلا قليلاً جداً بالجهد أو العمل البشري ، فتبقى سعر السلعة الذي تحدده الحاجة اليها (في اقتصاد حر) .

وبينما يملك المجتمع ما ينتجه العامل في المجتمع الاشتراكي ، مما يؤدي الى توزيع انتاج غير عادل لاختلاف المزاج والكفاءة من شخص إلى آخر ، كانت النتيجة حرماناً للبعض من نتائج عملهم وتقديم تلك النتائج إلى البعض الآخر الذي لا يقوم بالعمل الضروري ، وهذا ما يحد من التطور الفكري والعلمي والعمل الضروري للأفراد وتالياً للمجتمع .

وعلى عكس الدول الاشتراكية ، نرى الدول الرأسمالية تعطي

صاحب العمل الحق في كل شيء حتى يترك نتائج عمل العمال ، كما يحصل تكديس للأموال ، وحرمان للطبقة العاملة من جهودهم الفكرية والجسدية ما يؤدي ويساعد على اتساع الهوة بين أفراد الشعب وحدوث الأزمات الاجتماعية والسياسية ، وتفشي الأمراض الأخلاقية والجرائم والسرقات . وهذا ما تمنعه الأديان ويمنعه الاسلام .

لذلك نلاحظ أن المجتمع الإسلامي والمجتمعات المتدينة في أقل المجتمعات التي يحدث فيها أزمات اجتماعية من جرائم وسرقات لأن هناك رادعاً نفسياً ناتجاً من الإيمان بالله وبالدين ونرى رغبة جاححة للأفراد في المجتمع الإسلامي في مساعدة أخوانهم في الدين والله وهذا لا نراه في المجتمعات الأخرى .

« ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتتم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » . وكما قال علي (ع) : أأطمع أن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر ؟ . أأبيت مبطناً وفي الأرض بطون غرثى وأكباد حرى . ولعل في الحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالفرص ولا عهد له بالشعب .

هذه الأقوال ، وإن طبقت بالمفهوم الصحيح تعطي دفعا كبيرا للنظام الاقتصادي العادل والمبني على أساس روح الدين والتدين . وتتناقى مع أقوال المسعورين من حملة الشعارات الزائفة حول التقدمية والبرجوازية والشيوعية والخ . وأولئك الذين يعتبرون التدين والنظام الاقتصادي المبني على روح الاسلام هو مجتمع « برجوازي بحلة جديدة » كما جاء في جريدة السفير سنة 1984 وفي مقال بعنوان « كلمات حول الفكر الديني » .

ومجمل القول إن الإسلام قد اعتبر العمل الذي تفرضه الحياة في كل زمان ومكان جانباً من جوانب الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان واعتبره أفضل من العبادات في بعض الأحيان ، كما ألحق العاملين لسد حاجاتهم وضرورات حياتهم بما يغنيهم عن تكفّف أوجه الناس بالمجاهدين في سبيل الله كما تؤكد ذلك عشرات الروايات عن الرسول والأئمة حول هذا الموضوع ، وجاء في بعضها إن صحابيين وفدا على الرسول ومعهما أخاً لهما يحملانه على أيديهما فلما سألهما النبي عن حاله قالوا : إنه لا ينتهي من صلاة إلا إلى صلاة ولا من صيام إلا إلى صيام حتى أدركه من الجهد ما ترى ، فقال لهما : فمن يرضى له إبله ويسعى على ولده ، فقالا : نحن يا رسول الله ، فقال لهما : أنتما أعبد منه وأتقى .

فالمجتمع المتدين هو المجتمع التقدمي والمتطور ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ . وهناك العديد من الآيات في القرآن الكريم التي تشدّد على العمل ، والعمل الخيّر ، والعمل في سبيل مساعدة الآخرين والتي تقول بالحق والعدالة والمساواة والابتعاد عن ما يُسيء إلى الآخرين . وما قول الإمام علي عليه السلام «إن إمرئكم عندي لا تساوي شسع نعلٍ إلا أن أقيم حقاً أو أزهد باطلاً» . إلا دليل على المجتمع الذي كان يطمح إليه المسلمون في مجتمع متدين عادل .

5 - الطبقة العاملة

حذّر الكثير من علماء الاقتصاد في الغرب والشرق من التناحج السياسية الوخيمة للمجتمع المعلوماتي والثورة التكنولوجية . وكان أول من

حارب السيرريات والبيونيك الزعيم السوفيياتي ستالين ، خوفاً من فقدان السيطرة على الطبقة العاملة ولكن خروتشوف عاد وأمر بالعمل والبحث في هذه العلوم حين تأكد من أهميتها العلمية في الصناعة والتجارة .

والحقيقة أن خوف الزعماء الشرقيين من هذه العلوم ومن الثورة التكنولوجية الحديثة ومن أنسنة الآلة في محله . فالإعتماد على الإنسان الآلي في الصناعة والزراعة ، أدى الى تخفيض نسبة العمال ، ونسبة الجهد البشري وخاصة الجهد الفيزيولوجي في عملية العمل ، وفي الدورة الإنتاجية ، وأدى تالياً إلى تقليص حجم الطبقة العاملة التي عليها تعتمد الأحزاب الشيوعية للوصول الى الحكم ، أو للتخريض للوصول اليه . كما أن اعتماد الدول الاشتراكية على طبقة العمال في الحكم « ديكتاتورية الطبقة العاملة » يجعل من الحكم حكماً غير عادل ، ويقضي على الديمقراطية السياسية التي تنادي بها الشعوب . ذلك أن تقليص نسبة العمال في العمل للبلد ، وتحويل هذا الدور الى جماعة المتخصصين والمثقفين الصناعيين في حقل المعلوماتية يؤدي الى تغيير كبير في عقلية المجتمع وفي تفكيرها وعقليتها بالذات ، مما يجعلها بعيدة المنال ، ويجعل تأثير الأفكار الشيوعية عليها ضعيفاً ، ومهمة منظري الأحزاب الشيوعية صعبة ومعقدة .

إن أزمة التسويق في الإنتاج ستحدث في المجتمعات الاشتراكية ، والسبب أن الإنتاج يعتمد على التسويق في الحصول على المبالغ اللازمة لتأمين استمرار تطور النظام الاقتصادي ، وتأمين الحاجات ورفاهية الشعوب (وهي تعتمد الآن على الدول النامية من العالم الثالث في التسويق لانتاجها ، وبالتالي رفاهية شعوبها وتطورها) .

أما في الدول الرأسمالية ، فإن أزمة بطالة في هذه الدول ستحدث عاجلاً أم آجلاً ؛ لأن قدرة العمال الآلين في الإنتاج ، يفوق وبشكل كبير قدرة العمال ، مما يجعل رب العمل (الذي يهيمه الربح السريع وبتباعد عن الإسراف) ، يستغني عن وسائل الإنتاج البشرية والتقليدية ، وصرف عدد كبير من العمال وطالما أن ، إنتاجيته وربحه يمكن أن يتحقق دون خسائر تذكر فسيقدم على صرف العمال .

أما إذا كان رب العمل مؤمناً فالدين يردعه عن الأعمال التي تضر بحقوق الآخرين فالقوانين الاجتماعية للأديان وخاصة الدين الإسلامي تحد من تسلط أرباب العمل واستغلالهم للناس كما تحد وبشكل كبير من حرية تكديس الأموال دون توظيفها في خدمة المجموعة من الناس .

ولقد حافظ الدين على حقوق المقعدين والمتخلفين ، وحقوق المتفوقين ، ولم يسمح باستغلال الأقوياء للضعفاء مادياً ومعنوياً ، وحافظ على حقوق الفقراء والمحتاجين . ودعا الى العمل في سبيل تأمين حاجة الجميع . ولم يفرّق بين الدول والقوميات . لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . بل دعا الشعوب الغنية الى مساعدة الشعوب الفقيرة ، وهذا ما لا يعترف به النظام الماركسي أو الرأسمالي إلا نظرياً .

وفائدة المجتمع المعلوماتي المبني على أساس ديني ، لا يكمن فقط في خفض الجهد البشري والجسدي ، وزيادة الانتاج ، بل يساوي أو يسعى لمساواة أفراد الشعب بالعمل والانتاج إلى حد كجبر ، نظراً لأن ظروف العمل ستكون مختلفة فيه إلى حد تصبح أغلبها عملية مراقبة وإدارة للعمل من قبل عدد من المثقفين بالمعلوماتية من صناعيين وزراعيين وإداريين بأعمال متشابهة تحتاج إلى معدل واحد وثابت من الطاقة الفكرية والجسدية

للعمل على الشاشات التلفزيونية للمعلوماتية أو غير هذا من النظم المستعملة . أما العدد الآخر من المصححين المهندسين في حقل المعلوماتية والسيرنيات ، فمهمتهم تكون في تصميم وتنفيذ الأنظمة والأجهزة الأكثر تطوراً ، والأكثر مساعدة للإنسان في عملية وأثناء أداء واجبه في خدمة المجتمع وتأمين حاجاته .

ويؤدي أيضاً إلى تخفيض ساعات العمل ، وخفض قيمة المنتوجات وأسعارها ، ورفع مستوى أفراد الشعب وتخفيض الفروقات الاجتماعية بين أفراد الشعب وخاصة بين سكان الريف والمدينة . ويجعل من المرأة عنصراً فعالاً في عملية الانتاج ، ويؤدي الى رفع المستوى الحضاري للمجتمع بأكمله نظراً لسهولة الحصول ، ولسهولة توزيع المعلومات من - وإلى مختلف المناطق من - وإلى مختلف الدول .

6 - الإستهلاك والانتاج

كتب ماركس يقول معلقاً على ما أسماه الفرع الذي أبداه الاقتصاديون الإنكليز ، من هبوط معدل الربح فقال « هنا بطريقة اقتصادية صرفة ، أي من وجهة نظر بورجوازية بحثة في نطاق المفهوم الرأسمالي ، ومن زاوية الانتاج الرأسمالي نفسه أن في داخل هذا النظام حائلاً يعوقه ويعرقله . إنه نظام نسبي وليس شيئاً مطلقاً ، بل هو مجرد أسلوب تاريخي للانتاج يلائم حقبة زمنية معينة ومحدودة في تطور الظروف الحايوية للانتاج .

ويتحدث لينين عن التناقض بين الرغبة التي لا حدود لها في التوسع في الانتاج ، والتي هي جوهر الرأسمالية ولها ، ويبين استهلاك الجماهير

المحدود وهو تناقض ينمو بطبيعة الحال ويزداد حدة وتعقيداً كلما نما نظام الرأسمالي وازداد شراء ، وهو يعمل جنباً إلى جنب مع ميل معدل الربح نحو الهبوط على خلق حالة من الكساد المزمن ، لا يمكن علاجها ، إلا بوسائل التنمية الخارجية مثل افتتاح قارة جديدة للاستغلال الرأسمالي ، وإدخال صناعة جديدة تحتاج استثمارات رأسمالية هائلة ، أو إلى فتح حروب بين دول موالية تؤدي إلى زيادة استهلاك في الأسلحة وبالتالي زيادة في التصنيع والانتاج في الدول المصنعة (العراق ، إيران) . هذه المقولة صحيحة ، لأن مقياس التطور في الدول الصناعية الكبرى ، هو في الأسلحة المعقدة الإستراتيجية ومن المعروف أن الممول الرئيسي والأساسي للأبحاث التكنولوجية هي وزارات الدفاع في الدول الكبرى ، وكل ما يفقد سرّيته من الأبحاث تعود هذه الدول وتسمح للشركات بإنتاجه أو استعماله في الأغراض التجارية ، وكي تحافظ هذه الدول على تطور الأسلحة والتطور العلمي فيها ، تقوم بافتعال الحروب هنا وهناك كي تحصل على حقوق تجارب لأسلحتها ، وتحافظ على معدل التطور العلمي هنا . (وأصدق مثل هنا : ماكنمارا وزير دفاع أميركا إبان الحرب الفيتنامية) .

ومع الاعتراف بأن الرأسمالية تسعى من وراء هذه الثورة التكنولوجية التي كانت البادئة في اختراعها واستعمالها ، إلى زيادة الربح السريع لها ، فإن الدول الاشتراكية تزيد من إنتاجها لصالح الدولة ، التي تزيد بدورها من ميزانية وزارة الدفاع فيها .

7 - الكتل الاجتماعية

لقد نشأت الكتل الاجتماعية ، والتكتلات البشرية عبر السنين نتيجة للروابط السياسية والاقتصادية والدينية . ولكن الدين شكل دائماً أكبر الكتل البشرية المتحدة وراء خط ديني موحد ، وكان له أثره الفعال في تحديد مسار الدول . ولا يزال الدين يلعب دوراً بارزاً في إقامة الروابط بين الشعب وبين الشعوب . ويقول الاشتراكيون ، أن الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين الكوخوز ، هما طبقتا المجتمع الاشتراكي المتعاونتان فيما بينهما ومصالحهما الأساسية واحدة . ولكن الحكم يكون بقيادة الطبقة العاملة الحزبية لإقامة ديكتاتورية البروليتاريا .

بينما يقوم في الرأسمالية حكم تلعب فيه رؤوس الأموال وامتيازات الأغنياء دوراً بارزاً ، ويقوم عادة نقابات لاتحادات العمال مهمتها المطالبة بحقوق الأفراد والكتل البشرية المتحدة ، كما ولا يُنظر إلى الشعوب المختلفة نظرة واحدة ، بل ينظر إلى الشعوب المختلفة وخاصة المتخلفة كسوق للاستهلاك والاستغلال . وفي المجتمع ، ونظراً لتساوي نوعية العمل ولسهولة الاتصالات وسهولة الحصول على المعلومات ، يؤدي هذا إلى تخفيف حدة الفروقات الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع .

من هنا نرى اعتبار الدول الاشتراكية للطبقة العاملة كأعظم كتلة بشرية اجتماعية تقدمية واعية ومتلاحمة تقود المجتمع هو اعتباراً باطلاً .

فأفراد المجتمع متساوون في العمل والإنتاج ، وحق القيادة يجب أن يكون لتلك الفئة المتدنية ، والعدالة والواعية ، وبانتخاب ديمقراطي دون تأثيرات وضغوطات داخلية وخارجية .

وفي المجتمع المعلوماتي يستطيع الفلاحون وأبناء القرى من الحصول على نصيبهم الكامل في الوعي والإدراك والتثقيف ، كما أن الآلات الزراعية الحديثة والمؤتمتة تحل المشاكل الزراعية في الإنتاج والعمل ، مما يجعل من القوة البشرية الزراعية ، قوة إجتماعية بمستوى المجتمع البشري في المدينة وله الحق والنصيب في إدارة وحكم الدولة والمجتمع .

8 - المادية والملكية الخاصة والعامة

يرتكز الاقتصادي الماركسي الشيوعي على إلغاء الملكية الخاصة سواء بالنسبة للألة أو بالنسبة للأرض . وتسخير هذه الملكية الى ملكية المجتمع ، وبالتالي يأخذ كل فرد عامل نصيبه « حسب حاجته » أو « حسب عمله » . ولن ندخل في التفاصيل التي دعت الفكر الماركسي إلى الحزب والعمل على إلغاء الملكية الخاصة رداً على الملكية الكاملة التي كان يتمتع بها بعض فئات الشعب والتي كانت تُسخر الأفراد من عمال وفلاحين للعمل لمصلحة هذه الفئة القليلة التي تملك الأرض والآلة وتحاول أن تملك الفرد الإنسان من خلال تملك قوته وقوة عمله وبالتالي فائدة عمله . الأسباب الكثيرة والإضطهاد الكبير لما دُعي « بالبورجوازية » ساعدت على تغلغل فكرة تأمين الملكية الخاصة وجعلها ملكية عامة ، بين فئات العمال ، خاصة في وقت بدأت فيها الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر بالظهور والنمو أثناء حكم القياصرة والملوك والدكتاتوريات التعسفية .

وعند بدء تطبيق النظرية الشيوعية للملكية ، ظهر إن فئة كبيرة من الناس حُرمت من عملها لصالح فئة أخرى . وأدى تأمين الملكية الخاصة

إلى تباطؤ في النمو وظهور الروح الإنكالية والأنانية بين الأفراد . وبروز طبقة أخرى موازية للطبقة البرجوازية في النظام الرأسمالي هي طبقة الحزب وأعوان الحزب وطبقة المستفيدين من الشرطة والعسكريات التي تتمتع بامتيازات كثيرة حُرِمَ منها بقية أفراد الشعب العامل . وكي تستطيع الحكومات الشيوعية من تأمين الملكية الخاصة ، وتأمين الحكم الديكتاتوري لحزبها عمدت الى كَمِّ أفواه الناس وإلغاء الحريات الشخصية والقضاء على الديمقراطية خاصة في ما يتعلق بحكم الحزب الواحد .

ولقد شهد الاقتصاد الشيوعي تعديلاً كبيراً في الخط والمنهج عندما سمح ببعض الملكية الخاصة ، وبزيادة الفوارق في الأجور (المجر ، يوغسلافيا . . .) مما يعني إن القيمين على النظام الاقتصادي اضطدوا بالواقع ، فوجدوا الطريق مليئاً بالتناقضات التي تضعها الطبيعة الانسانية أي طبيعة الفرد ونفسية الإنسان من خلال تعامله وتفاعله مع مجتمعه ومحيطه .

وقد يصح في أن الآلة الأتوماتيكية العاملة والسريعة والتي لا تحتاج للجهد الفيزيائي يجب أن تكون من ملكية المجتمع أو أن يكون إنتاجها ملك المجتمع كجزء من حاجات الأفراد دون حرمان صاحب الملك لنتيجة أتعابه . أو أن يكون المصنع الآلي والذي يتم بناؤه بأموال المؤمنين من خمس وزكاة يجب أن يكون إنتاجه ملك للفقراء والمحتاجين والمعوزين . ولكن وفي جميع الحالات يجب على الفائض الكبير الزائد وحسب الدين الإسلامي أن يكون مُسَخَّراً لتلبية حاجات الفقراء والمحتاجين من عمال وفلاحين ومعوزين على اختلاف أنواعهم . أي ، يجب عدم حرمان الأفراد نتيجة عملهم ، كما ويجب عدم تكديس نتيجة

العمل لصالح الفرد الواحد الذي يملك أدوات العمل . بل يجب أن تنوزع نتيجة عمل الآلة على المجتمع بكامله حسب النظرية الإسلامية في توزيع النسب بشكل يساعد فيه على القضاء على الفقر والحاجة لدى معظم فئات الشعب .

وبينما يقوم النظام الشيوعي بإفناء الفرد في المجتمع ، وجعل الإنسان آلة مسخرة لتحقيق الموازين العامة التي يفترضها ، واستعماله للوصول إلى الغايات والأهداف التي تخدم الدولة والنظام ، فإن النظام الرأسمالي يُسخّر المجتمع للفرد ، الفرد البرجوازي الغني ضد الإنسان المستضعف والمحروم . ومن هنا فإن المجتمع الصناعي المتشدين والمبني على تطور تكنولوجيا متقدم ، يجعل الإنسان متفاعلاً مع المجتمع يخدم كلاهما الآخر ، فالفرد العاقل يتفاعل مع الآلة لخدمة الإنسان ، والدين يفرض على كل فرد من أفراد المجتمع خدمة الأخير ومساعدة المحتاجين والمستضعفين . وعندما نحصل على المصنع الآلي المؤتمت ، فإن الآلة تصبح لخدمة المجتمع وأفراده ، وصانع الآلة يخدم نفسه والمجتمع .

ومما لا شك فيه ، أن معالجات النظام الشيوعي للملكية الفردية الخاصة أدت في فترات معينة (في بداية النظام الشيوعي في روسيا) إلى إيجابيات معينة ، خاصة حينما حاول هذا النظام أن يؤمن التعليم والسكن والطبابة لعامة الناس ، ولكن الأمور لم تسر في الطريق الصحيح عند محاولة التطبيق نتيجة العوامل النفسية الإنسانية والفراغ الشخصية في الإنسان من جهة ، ومن جهة أخرى نتيجة الحدّ من نشاط الفرد وحرية العمل ، ومصادرة قسم كبير من قيمة عمله لصالح مجموعات حزبية أو مجموعات لا تقدم نفس العمل ونفس الجهد . فلو أخذ الإنسان المادي

يُفكر تفكيراً جماعياً ، وذابت من نفسه جميع العواطف الخاصة والأهواء الذاتية والانبعاثات النفسية ، لأمكن أن يقوم نظام يذوب فيه الأفراد لصالح المجتمع .

فالثروة التي تسيطر عليها الفئة الرأسمالية في ظل الاقتصاد المطلق ، والحريات الفردية ، وتتصرف فيها بعقليتها المادية ، تُسلم عند تأميم الدولة لجميع الثروات ، وإلغاء الملكية الخاصة إلى نفس جهاز الدولة المكون من جماعة تسيطر عليهم نفس المفاهيم المادية عن الحياة ، والتي تفرض عليهم تقديم المصالح الشخصية بحكم غريزة حب الذات وهي تأبى أن يتنازل الإنسان عن لذة ومصالحة بلا عوض . وما دامت المصلحة المادية هي القوة المسيطرة ، فسوف تستأنف من جديد ميادين للصراع والتنافس وسوف يعرض المجتمع لأشكال من الخطر والاستغلال كما حصل في بولونيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا سنة 1982 على أيدي نقابة التضامن في بولونيا . وسنة 1956 أثناء الردة في المجر على السوفيات ، وفي سنة 1976 أثناء انقلاب دوبتشيك في تشيكوسلوفاكيا وفي كل الحالات كان يتدخل الجيش الروسي لإعادة إحياء النظام الشيوعي من جديد وفرضه بالقوة على الناس .

كما نلاحظ ومع تطور الآلة الحربية للدول الشيوعية والرأسمالية ومع تطور البحث العلمي والتكنولوجي للدول المتطورة إن الأزمات الاقتصادية لا تزال تتوالى باستمرار . فمن فقدان المواد الغذائية في الدول الشيوعية إلى هبوط مستوى المعيشة في الدول الرأسمالية . نرى أن هذه الأنظمة تعاني من خلل في النظرية وفي التطبيق العملي . وحل المشكلة في إتباع نظام صناعي متطور تحكمه مفاهيم إنسانية وروحية رادعة تبعد الفرد عن

استغلال أخيه الإنسان وتجبره في تقديم قسم من الفائض لإعالة غيره . وهذا التقديم وهذه المساعدة تتم بصدرٍ رحب ودون إكراه على ذلك ، فقط الدين هو الرادع ، والدين هو الذي يُجبر الإنسان على المساعدة في تأمين حياة إخوته في الإنسانية . كما سيساعد النظام الصناعي المتطور في عملية سد حاجات واشباع غرائز الجميع ، وبالتالي تقديم المساعدة اللازمة لجميع المحتاجين نظراً لقوته الانتاجية الكبيرة التي تفوق حاجة أي مخلوق ، وثروات الأرض كبيرة جداً . . .

ولقد عملت الثورة الصناعية إلى إبطال مفهوم قيمة المنتوجة ، والقيمة الزائدة ، وبالتالي تغيير لمفهوم الربح والخسارة ، الذي يُحدد طبيعة وأهمية الملكية الخاصة والفردية ، وبالتالي إمكانية زيادة وتوزيع القيمة الفائضة والربح الزائد لأي عمل صناعي ، أو لأدوات العمل . فإذا كانت قيمة المنتوجة تتعلق بالمادة والوقت اللازم لصناعتها والقوة الجسدية التي يصرفها الفرد أو الأفراد في صناعة المنتوجة ، فإن المصنع الآلي المؤتمت سوف يَحصر قيمة المنتوجة بقيمة المادة بشكل أساسي ، أما عامل الوقت والقوة الجسدية فستكون في الحالة الدنيا ، وكلما تطور العلم وتطورت التكنولوجيا كلما ابتعدت عن التأثير على قيمة المنتوجة .

وبما إن النظام الشيوعي ارتكز في نظريته على العامل المادي للمنتوجة وبشكلٍ أساسي على الجهد الفيزيائي فإن النظام الصناعي المتطور سوف يَحصر قيمة المنتوجة بالعامل المادي . ومن هنا فإن ملكية الانتاج سوف تكون من حق المشرف أو القِسم على المصنع بشكلٍ أساسي ، وإذا كان المشرف لا يبتغي الربح السريع ومؤمن بالدين الذي هو الرادع القوي ضد الربح والاستغلال ، فإن قيمة المادة الخام سوف تُحدّد سعر المنتوجة ،

وبالتالي فإن الأخيرة سوف تصل للجميع بأسعار محدودة بعيدة عن الربح المادي الشخصي .

فإلغاء الملكية الخاصة سوف يشكل عائقاً أمام تطوير الإنتاج . ولكن توزيع الانتاج مع حفظ الحق الشخصي للإنسان أو الفرد المتدين سوف يساعد على تأمين حاجة المجتمع من جهة وتطوير الانتاج من جهة أخرى .

وهذا ما سلكه الإسلام إيماناً منه بأن الحل الوحيد للمشكلة هو تطوير المفهوم المادي للإنسان عن الحياة . فلم يتدرج إلى مبدأ الملكية الخاصة ليطيله ، وإنما غزا المفهوم المادي عن الحياة ووضع للحياة مفهوماً جديداً ، وأقام على أساس ذلك المفهوم نظاماً جديداً ، لم يجعل فيه الفرد آلة ميكانيكية في المجتمع ، بل حافظ له على شخصيته الفكرية والانتاجية ، كما لم يجعل المجتمع قائماً على حساب تذويب شخصية الفرد الإنسان . بل كفل حقوق الأفراد والمجتمع واضعاً نصب عينيه مبادئ عديدة هي الحق والعدل والحرية والكرامة ومساعدة المقعدين وتأمين حاجات الأفراد العاملين بلا تفرقة بين لون ودين ، ناصباً مقياساً جديداً خلقياً لدور الإنسان وعمله وهو في إرضاء الله تعالى . إذ ليس في كل ما يرضاه المصلحة الشخصية جائزاً ، كما وليس كل ما يؤدي إلى خسارة شخصية بدون منفعة أو إكراه جائزاً أيضاً : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ، ولا نصب ، ولا مغمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلاً . . . إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم يجزيهم أحسن ما كانوا يفعلون » .

9 - الحرية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية في الإسلام

وفي مقابل الحرية الاقتصادية اللا محدودة في النظام الاقتصادي الحر والرأسمالي . والذي يدور بدون أي رادع أو تحديد للربح والإستغلال والإنتاج والتسويق والمضاربة وما ينتج عن ذلك من تحطيم وإنهاك لبعض أفراد الشعب ، ورفع للأسعار وبطالة . الخ ، يقوم النظام الإشتراكي على تقييد الحرية الاقتصادية بحجة تحقيق العدالة الاجتماعية ، ولكن ما ينتج عن ذلك من تأميمات وحرمان ، وطغيان فئة على فئة ، وخلق طبقة جديدة تحتكر الاقتصاد والسياسة الخ .

يأتي النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يسمح للأفراد بحرية محدودة ، بحدود من القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الإسلام . فالإسلام يقف موقفاً يتفق مع طبيعته العامة فيسمح للأفراد بممارسة حرياتهم ضمن نطاق القيم والمثل ، التي تهذب الحرية وتصلقها وتجعل منها أداة خير للإنسانية جمعاء . والتحديد الإسلامي للحرية الاقتصادية يقوم على أساس :

- تحديد ذاتي إيماني ينبع من أعماق النفس ، ويستمد قوته من المحتوى الروحي والفكري والإيماني للإسلام .

- تحديد موضوعي ناتج عن قوة خارجية روحية ، تُحدد السلوك الاجتماعي وتضبطه انطلاقاً من المبدأ القائل : إنه لا حرية للشخص فيما نصت عليه لشرعية المقدسة ، من ألوان النشاط التي تتعارض مع المثل والغايات التي يؤمن الإسلام بضرورتها .

أما الصورة الإسلامية للعدالة الاجتماعية فتحتوي على مبدئين عامين

هما : مبدأ التكافل العام ومبدأ التوازن الإجتماعي .

ولقد بدأ الرسول عمله السياسي بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وتطبيق مبدأ التكافل بينهم ، بغية تحقيق العدالة الإجتماعية التي يتوخاها الإسلام .

فهذه هي الأركان الأساسية في الاقتصاد الاسلامي :

- 1- ملكية ذات أشكال متنوعة ، يتحدد التوزيع في ضوءها .
- 2- حرية محدودة بالقيم الإسلامية في مجالات الانتاج والتبادل والاستهلاك .
- 3- عدالة اجتماعية تكفل للمجتمع سعادته ، قوامها التكافل والتوازن .

وللمذهب الاقتصادي في الاسلام صفتان أساسيتان وهما : الواقعية والأخلاقية - فهو واقعي لأنه يقيم مخططة الاقتصاد دائماً على أساس النظرة الواقعية للإنسان إنطلاقاً من صالح الشعب وعدم المساس لا بأحد الأفراد ولا إلحاق الضرر بالأشخاص ، وهو يضمن ذلك ويسنده بتشريع مُسهب يؤمن تطبيق هذه العملية .

أما الصفة الأخلاقية ، فتعني إن الإسلام لا يستمد غاياته التي يسعى إلى تحقيقها في حياة المجتمع الاقتصادية ، من ظروف مادية وشروط طبيعية مُستقلة عن الإنسان نفسه ، كما تستوحي الماركسية غاياتها من وضع القوى المنتجة وظروفها . . . وإنما ينظر إلى تلك الغايات ، بوصفها مُعبرة عن قيم عملية ضرورية التحقيق من ناحية خلقية . فحين يقرر ضمان حياة العامل مثلاً ، لا يؤمن بأن هذا الضمان الاجتماعي الذي وضعه ، نابع من الظروف المادية للإنتاج مثلاً ، وإنما يعتبره ممثلاً لقيمة عملية يجب

تحقيقها ، يعتبره واجباً وحقاً من حقوق الفرد كإنسان ، وغاية يسعى لتحقيقها .

10 - الدكتاتورية العمالية

تقوم الثورة الاشتراكية على أيدي ثائرين حرفيين مُتحمسين لا يتوانون لحظة عن تنفيذ مآربهم الحزبية ولا تيساحون مع المتمردين الرأسماليين أبداً وتكون القيادة في أيدي ثوريين حزبيين لهم خصائص فكرية وثورية وحزبية خاصة ويجب أن تتسلم هذه الفئة الهيمنة الحزبية والسلطة بشكلٍ مطلق لطبيعة المرحلة الاشتراكية في رأي الماركسية القائل بضرورة قيام دكتاتورية وسلطة مركزية مطلقة لتصفية حسابات الرأسمالية نهائياً والقضاء على كل معالم الرأسمالية الروحية والفكرية والاجتماعية من جهة ولوضع تخطيط اقتصادي موجه لكل شعب في الحياة من جهة أخرى ، إذ إن مثل هذا التخطيط يتطلب سلطة ديكتاتورية مطلقة حتى يتمكن من فرض المنهج الاقتصادي على الشعب .

ومع الاعتراف بدور العمال والطبقة العاملة في الحياة الاقتصادية للبلاد وخاصة في الدول المتطورة الصناعية ، ومع الاعتراف أيضاً بأن هذه الطبقة إضافةً لطبقة الفلاحين هم الأكثر حرماناً ، وهم من يصرفون الجهد الأكبر في العمل وبالتالي أصحاب الفضل الأكبر في عملية الإنتاج والربح الذي يعود لصالح الرأسمالي الذي يملك وسائل الإنتاج . ولكن ومع هذا كله فإن هذه الفئة أو الطبقة من الناس لا تستطيع القيادة والحكم إلا إذا أصبحت فكراً في مستوى الطبقة المثقفة أي إذا تخلت عن طبقته على الصعيد الفكري والتحقت بالطبقة التي يمكنها إدارة وحكم وتخطيط البلاد .

إضافة لذلك ، فإن لبقية أفراد الشعب من صانعين ومُفكرين وأصحاب الرساميل والتجار والفلاحين الحق أيضاً في إدارة البلاد وحكمها نظراً لدورهم في الإنتاج والتسويق والتصنيع والابتكار أو للدورة الاقتصادية ككل فلا يجب أن ننسى هؤلاء الناس .

إضافة لذلك ، ففي عصر صناعي متطور ، تزول الفوارق الكبيرة في مستوى أفراد الشعب على الصعيد الفكري والتنظيمي والعمل ، وتصبح القدرة الانتاجية كبيرة تفوق قدرة حتى الفرد العامل ، كون الآلة تأخذ نصيباً وافراً من القدرة الانتاجية للمجتمع والتالي فإن نصيب الفرد سيكون أوفر حظاً من قيمة الإنتاج ومردوده سيعود على المجتمع ككل . لذلك فإن إزالة الفوارق الفكرية وإلغاء الفوارق في مردود الانتاج بين جميع أفراد المجتمع تجعل الجميع سواسية في الحق أمام حكم البلاد وإدارتها . ولكن هل سيعود المردود الانتاجي الكبير لصالح الفرد الرأسمالي المُستثمر ؟ لا ففي ظل دولة إسلامية متدينة ، لن يعود الفائض في الأرباح لصالح فرداً واحداً أو شخصاً واحداً بل سيعود لصالح جميع أفراد الشعب والمجتمع حسب مبدأ العدالة الإسلامية في التوزيع والاستهلاك والذي يوازي الحاكم بأفراد الشعب ، أي ينظر إلى الناس سواسية بنفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .

وبشكل عام تفرض ديكتاتورية البروليتاريا التي تحدثت عنها الماركسية تكوين طبقة جديدة في المجتمع الاشتراكي على الصعيد السياسي ضمن الحزب القائم على أسس فكرية خاصة فلسفية وعقائدية ولها جميع خصائص الطبقية من السيطرة على جميع الممتلكات ووسائل الإنتاج المؤممة من جانب والمركز السياسي المرموق الذي يوفر له التحرك والعمل

والتصرف حسب المصالح الخاصة من جانب آخر ، ولهذا إلغاء الطبقات لصالح المجتمع التي تحدثت عنه الماركسية سيؤدي الى توليد طبقات جديدة على حساب أخرى وبالتالي فالنزاع سيعود بين فئة حاكمة وفئة محكومة ، فئة ظالمة وفئة مظلومة الخ . .

وقد يظن البعض بأن الإسلام يُحبذ الفقر ويندب إليه ويشب على البؤس والحاجة والتعسف ويكره الغني والثروة وجمع الأموال . ولكن الحقيقة على العكس من هذا فإن الإسلام يمقت الفقر ويقاوم الحالات التي تسوق الإنسان إلى المسكنة والذل والمهانة من جراء الحاجة .

فالفقر المذقع الناتج عن الكسل والخمول هو ضرب من الظلم إلى النفس والكرامة . . . ويكون الإنسان مسؤولاً أمام الله عن هذا الهوان الذي يجنيه على نفسه وعائلته وأولاده من جراء الإهمال والكسل المورثان للفقير .

وقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

هذه الآية تحث على طلب الرزق والمال والعمل الدؤوب لتحقيق القوت والابتعاد عن الكسل والخمول . وطلب العلم والسهر على التطور العلمي كي يستطيع الإنسان من خدمة نفسه وتأمين حاجاته .

الدولة والإنسان

قامت الأديان وعبر التاريخ بإقامة الإنسان على قاعدة الفهم المعنوي للحياة والإحساس الخلقي بها . وما يحفل به العالم اليوم من مفاهيم

معنوية . وأحاسيس خلقية ، ومشاعر وعواطف نبيلة . . . إلا نتيجة للجهود الجبارة التي قامت بها الأديان تهذيب الإنسانية والدافع الطبيعي في الإنسان ، وما ينبغي له من حياة وعمل .

وقد حملت الأديان ومنها الإسلام المشعل المتفجر بالنور ، بعد أن بلغ درجة خاصة من الوعي ، فبشر بالقاعدة المعنوية والخلقية على أوسع نطاق وأبعد مدى ، فبشر بالقاعدة المعنوية والخلقية على أوسع نطاق وأبعد مدى ، ورفع على أساسها راية إنسانية ، وأقام دولة فكرية ، أخذت بزمam العالم ربع قرن ، واستهدفت إلى توحيد البشر كله ، وجمعه على قاعدة فكرية واحدة ترسم أسلوب الحياة ونظامها . فالدولة الإسلامية لها عدة وظائف : منها تربية الإنسان على القاعدة الفكرية ، وطبعه في إتجاهه وأحاسيسه بطابعها ، ومراقبته من الخارج ، وإرجاعه إلى القاعدة إذا انحرف عملياً ، ومن ثم تطوير المستوى الثقافي والحضاري له . ومساعدته في طلب العلم وملاحقة التطور العلمي والتكنولوجي والفني كي يستطيع هذا الإنسان من خدمة مجتمعه وتطويره وتأمين رفاهيته ، أي كي يستطيع هذا الإنسان من بناء المجتمع المتكامل على جميع الأصعدة الفكرية والاقتصادية والعلمية والإنسانية . ولكم. أدعت الدول بعدالتها ، وعدالة حُكَّامها وأحزابها وبأنها بلاد الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية . ولكن وفي الواقع لا نستطيع رؤية دولة واحدة ، قد إكتفى شعبها وشعر برفع العُبن والجور . وذلك ليس ناتجاً عن أنانية الإنسان وأطماعه بالكامل ، بل كون هذه الدول لم تستطع فعلاً من تأمين معيشة الفرد وحياته وحرية الفكرية والسياسية والاجتماعية . وأغلب الدول تحكم شعوبها بالسوط والكرباج ، ولكن الدولة الإسلامية العادلة التي تحكم

بإرادة الله بواسطة حاكم عادل غير جائر لا يهودي الحكم ولا التسلط ، وليس له أية غاية أو هدف خاص سوى خدمة وطنه ومجتمعه ، هي فقط تلك التي تستطيع تأمين حرية وكرامة الإنسان ، وديمقراطية المجتمع الفكرية والسياسية ، ﴿ والله إن أمرتكم عندي لا تساوي شسع نعلة إلا أن أقيم حقاً أو أزهد باطلاً ﴾ . ولهذا فليس الوعي السياسي للإسلام وعياً للناحية الشكلية من الحياة الاجتماعية فحسب ، بل هو وعي سياسي عميق ، مرده إلى نظرة كلية كاملة نحو الحياة والكون والاجتماع والسياسة والاقتصاد والأخلاق فهذه النظرة الشاملة هي الوعي الإسلامي الكامل الذي يحافظ على البشر لأي دين أو طائفة انتموا .

وكل وعي سياسي آخر فهو إما أن يكون وعياً سياسياً سطحياً لا ينظر إلى العالم من زاوية معينة ، ولا يقيم مفاهيمه على نقطة إرتكاز خاصة أو يكون وعياً سياسياً يدرس العالم من زاوية المادة البحتة ، التي تمون البشرية بالصراع والشقاء في مختلف أشكاله وألوانه .

العلم والدين

جاء في القرآن : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » .
 وقال علي (ع) : « بالعلم يُعرف الله ويُوحَّد » ، فبالعلم وحده
 يتعرَّف الإنسان على ما أوجده الله وما سخره لخدمة الإنسان والبشرية ،
 والآية الكريمة : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ،
 اقرأ باسم ربك الأعلى الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ،
 هي دعوة للإنسان لاكتشاف مجاهل هذا العلم وطلب العلم والمعرفة
 والاستفادة من قدرة العقل الذي وهبه الله للإنسان كي يتعلّم ويُعلّم
 ويبحث ويُنقّب ويكتشف وبالتالي كي يُسخر ما وصل إليه من اكتشافات
 في خدمة البشرية والإنسانية ، فلا تنافي إذاً بين الدين كدين وبين العلم
 والعلوم بل على العكس يقوم العلم بإعطاء الأدلة الحسية على مجاهل الحياة
 والكون وعلى مخلوقات الخالق عزّ وجلّ .

وفي القرآن آيات جمة تبلغ 750 آية تعطينا عصارات العلوم الحديثة
 وما توصلت إليه المكتشفات في شتى النواحي وما ستصل إليه في المستقبل
 فقد قال ابن عباس : « إن في القرآن معاني سيكشفها الزمن » .

فلقد كان العلم الحديث يجهل ، وإلى قبل 50 عاماً أن للشمس حركة
 خاصة بها ، ولكن القرآن كان ينادي منذ 14 قرناً : ﴿ والشمس تجري

لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴿ . حتى إذا تقدمت العلوم الرياضية بما فيها الميكانيك الرياضي علموا إن الشمس تتحرك في الفضاء بحركة لولبية أي تسير في الفضاء بسرعة قدرها 72000 كيلومتر في الساعة على وجه التقريب نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع على شكل لولبي (المنحني اللولبي) .

لذلك فالقرآن في علومه سابق للعلم الحديث ولكن بإعطاء النتيجة النهائية دون شرح للمقدمات والدساتير والمعادلات كما في كتب الفلك العالي والميكانيك السماوي وغيرهما . كان يقول القرآن بحركة الأرض قبل (كوبرنيك وكبلر ، وكاليلة) بقرون وذلك بقوله : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء ﴾ .

إضافة لذلك ، ما كان البشر يعلم إن الزوجية متحركة بأمر الله في كل شيء ، حتى الجماد ، حتى إذا اكتشف بطن الذرة وعلم أن ذرة كل عنصر من العناصر من هايدروجين وهليوم وكالسيوم وأورانيوم السخ تتألف من الكترون : كهربائية سالبة وبروتون : كهربائية موجبة ونيوترون : كهربائية متعادلة . وإن الإلكترون يدور بسرعة فائقة حول البروتون فالإلكترون بمثابة الأنثى والبروتون بمثابة الذكر . ولكن الله قد ذكر ذلك منذ قرون في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . بقوله جل من قائل : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ . ويقول : ﴿ سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون ﴾ فالذي ما كان يعلمه البشر ثم علمه بإذن الله هو هذه الزوجية في الجماد أو العناصر أي الذرات برمتها .

كذلك بالنسبة إلى تشكل الأمطار في قوله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله

يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً ﴿١٠﴾ والتأليف هو الكهربائية التي تلعب دوراً هاماً في هطول الأمطار على حد قوله تعالى : ﴿١١﴾ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً وما أنتم له بخازنين ﴿١٢﴾ ، فهذا التلقيح هو التلقيح الكهربائي بين سحابة وسحابة أو بين ذرات بخار الماء لقوله تعالى بعد أرسلنا الرياح : فأنزلنا من السماء ماءً ، فنزل الماء من السماء متوقف على هذا التلقيح الكهربائي . وهذا من مكتشفات القرن العشرين .

وهناك آيات أخرى كثيرة لا مجال إلى ذكرها تُنبئ عن آخر ما توصل إليه العلم الحديث ، وآيات أخرى لا يزال المراد الحقيقي منها مجهولاً إلى أن يتقدم العلم المادي أشواطاً أخرى كي يعلم البشر حقيقةً والمراد منها . وكفى بالقرآن معجزة أنه قد سبق العلم الحديث بآيات بينات هي عصارة العلم الحديث وما سيكتشفه الإنسان بإذنه تعالى في مستقبل قريب أو بعيد .

أما النظريات التي تؤسس لحل مشكلة النظام الشمسي أو تكون العوالم التي خلقتها الله تعالى بقدرته وقدر فيها أقواتها في هذا العالم الرحيب من مجرات لا تعدُّ : مجرات في كل منها ملايين النجوم وملايين الشمس التي تبعد عنا مسافات لا تقدر بملايين الأميال على ما ثبت أخيراً ، هي نظريات مضطربة ، قلقة ، تُعدّل من حين لآخر كلما عثروا على ظاهرة لا يمكن أن تُفسّر على النظرية الموضوعة . ذلك ، لأن الإنسان لم يقف بعد على جميع ما أودع الله من قوانين في علم الميكانيك السماوي ، وما وضع من خواص تكاد لا تتناهى في العناصر والأجسام . وفي هذه النظريات محاولات علمية تكشف عن بعض ما أودع الله من قوانين ميكانيكية وخواص طبيعية في هذا الكون الرحيب .

يقول الله تبارك وتعالى :
﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾ .

فالله تعالى يخبرنا في الآية المتقدمة ، أن كل ما في هذا الكون المادي من أجرام ونجوم وشموس وأقمار ومجرات ونيابك وسُدُم وغازات : كل ذلك كان في بادئ الأمر ، بأمره تعالى ، ملتصقة بعضها ببعض الآخر ، وانها انفصلت وتناثرت بقوله جلّ من قائل : كن ، حسب ما يريد وتباعدت وصارت تدور في مدارات اهليلجية أو شبه دائرية حسبما سنّ الله من قوانين ميكانيكية وخواص معينة فيها خلق من عناصر ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول : كن ، فيكون ﴾ .

لذلك يعتقد علماء العصر الحاضر إن السديم هو الحالة الابتدائية للنجوم أو المجموعات النجمية ، وانها في الوقت الحاضر في حالة التكاثر والتقلص ، ولذلك ، لا بد وأن تنتج أجلاً أو عاجلاً مجموعة من الكواكب أو عدداً من الشموس المماثلة لشمسنا .

إن السدم تختلف اختلافاً تاماً عن الكواكب المجتمعة وإن شابهتها في ظاهرها . فإنها لا تنحل إلى كواكب مستقلة لا بالمقرب ولا بالتصوير الشمسي ، كما أنه يتبين من التحليل الطيفي أنها تتألف من مواد غازية محتوية على عنصر يجعله علماء الكيمياء على الأرض ، ويدعونوه الغاز السديدي .

وقد قال الله تعالى : ﴿ ثم إستوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين ﴾ .

وقوله في سورة الدخان :

﴿ يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ .
إن أشكال السدم تختلف إختلافاً كلياً . فبعضها تظهر بشكلٍ مُنظم
كروي أو لولبي أو عدسي أو حلقي ، وأما البعض الآخر فيظهر في
أشكال غير منتظمة لا يمكن حصر أنواعها .

وهكذا نرى أنه كلما اتسع أفق العلم في اختراع مراقب كبيرة
والوقوف على خواص الذرة ومعادلاتها المعقدة وفي الميكانيك السماوي
والتحليل الرياضي كلما شاهدنا عوالم أخرى فأخرى إلى حيث لا يتناهى
في هذا الكون الرحيب :

﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ، لنفد البحر قبل أن تنفذ
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ .

دور المجتمع المعلوماتي في تنمية العالم الثالث

« إنتهوا أمام يأس العالم الثالث ، فمنه يمكن أن تنطلق الفوضى العالمية » ، بهذه الكلمات افتتح كورت فالدهايم الأمين العام السابق للأمم المتحدة ، آخر جلسة عقدها المجلس الاقتصادي والاجتماعي لهذه المنظمة العالمية . هذه الصرخة هي دليل حقيقي عما تعانيه الشعوب الفقيرة في آسيا وأفريقيا حتى إن البلدان الغنية بمواردها الطبيعية كالـدول العربية مثلاً وبعض بلدان أفريقيا ، تعاني أيضاً من أزمة ناتجة عن سوء استغلال لمواردها الطبيعية ، وعن استغلال الدول الغنية لها ، وأخص بالذكر الدول الأوروبية جميعها والولايات المتحدة . هذه الدول الفقيرة بتطورها والغنية بمواردها الطبيعية بحاجة إلى ففزة نوعية تقودها الى رفع مستوى شعوبها الاقتصادي . بشكل تستطيع العيش بسلام على أراضيها .

« إن ثمة بين قسـمي السكان اللذين يعيشان في هذا الكوكب ، القسم المتطور والقسم الفقير وغير المتطور ، هوة ذات طبيعة زلزالية . وهي عميقة بحيث أنها تؤدي إلى إرتجاجات رهيبة تفجر كل شيء » . هذا ما قاله روبرت ماكنمارا في معرض رسمه للمحصلة المركبة للعقدين الماضيين اللذين أطلق عليهما اسم عقدي التنمية .

ويلي براندت ، في ختام سنتين من العمل على رأس لجنة تضم

شخصيات عالمية متطوعة ، كتب في مقدمة تقريره يقول : « لقد رأيت
لجئتنا بالإجماع أن إعادة النظر الجذرية في العلاقات بين قسيمي العالم
صارت ضرورية للغاية .

إن النظام الذي وُجد عند نهاية الحرب العالمية ، أدى اليوم بالنسبة
الى بلدان العالم الثالث ، إلى وضع بالغ السوء بحيث بات الأمر يتطلب
إعادة توازن جذرية . وهذا ما يمكن التعبير عنه بالمطالبة المنتشرة والمعترف
بها بقيام نظام اقتصادي عالمي جديد . والمسألة هنا في الحقيقة مسألة مهمة
تاريخية ، والمطلوب إعادة النظر في العلاقات بين الشعوب الغنية ودولها
والشعوب الفقيرة المحرومة من التطور ودولها بشكل يجعل الهوة بينهما
صغيرة وبالتالي يؤدي إلى وضع عالمي جديد يخلو من الهزات والأزمات
السياسية والاقتصادية ، مما يؤدي إلى نوع من الهدوء النسبي يجعل الدول
الفقيرة تهتم فقط بتنمية قدراتها لإنعاش شعوبها » .

1 - قاعدة التطور

أما قاعدة التطور فتتمثل في شطرين :

الشرط الأول قائم في تحديد قاعدة التقدم التي فرضت نفسها منذ
خمس سنين والتي توفر لنا التفسير الأساسي للفوارق في وتيرة النمو : لقد
كان التجديد التقني حتى في عز العهد الصناعي ، العامل الرئيسي لكل
نمو . فهذا التجديد هو الذي جعل الولايات المتحدة حديثة ومتطورة
وضمن لها الهيمنة على أوروبا حتى سنوات السبعين . فالتجديد العلمي
والأبحاث العلمية والتي أدت فيما بعد الى ظهور وخلق مجتمعات ونظريات
جديدة في جميع الحقول وأدت الى خلق وظائف جديدة للعمل وإيجاد طرق

ووسائل جديدة للإنتاج سهلت ووفرت على الإنسان العادي عمله ، وأقامت له الظروف الطبيعية في الحياة مكتته من رفع مستواه المعيشي والحياتي بشكل لم يعد الإنسان الأوروبي والأميركي والياباني يفكر بمستقبله ومستقبل أولاده ، ولا بالجوع الذي يهدد ولا يزال العديد من الشعوب في آسيا وأفريقيا .

مؤسسة العلوم الوطنية في الولايات المتحدة أجرت تحقيقاً كاملاً يتعلق بمعرفة ما الذي شكل منذ خمسين سنة عامل التطور الاقتصادي الأمريكي .

وكان الجواب : إنه التجديد التقني والتكنولوجي ، هذا التجديد الذي كان نتيجة للبحث المتواصل عن الطرق الجديدة التي تؤدي إلى الهيمنة العسكرية للولايات المتحدة على الاتحاد السوفياتي والعكس ، كان من نتائجه تطور العلوم التقنية وإعادة استغلال القديم القليل في خدمة البشرية ولصالح الشركات المصنفة المعاملة في الولايات المتحدة .

ولقد امتازت الصناعات التي تركزت على أساس التكنولوجيا العالية التطور بالمقارنة مع مجموع الصناعات بما يلي :

- زيادة كبيرة في الإنتاجية تفوق وبشكل كبير الإنتاجية في العصر الصناعي السابق .
- سرعة كبيرة في الإنتاج ، لا يستطيع العصر الصناعي أن يقوم به .
- خفض كبير في الأسعار بمعدل ستة أضعاف .
- خفض في ساعات العمل بالنسبة للإنسان ، مع خفض في الجهد الجسدي المبذول والاعتماد على الجهد الفكري ونسبة ملحوظة .

ولقد لاحظ الأوروبيون أهمية التجديد التقني في محاربة الركود الصناعي والتقدم الاجتماعي المفقود وتحسين مستوى المعيشة . وكان أندريه دانزين قد أشرف على هذه الدراسات وقال ان « المحرك الرئيسي للتطور هو البحث العلمي التقني » .

الشرط الثاني : إن ثورة اليوم التكنولوجية لم تعد مجرد امتداد للتطورات التقنية والتكنولوجية التي تتابعت . بل هي عملية تغيير كلية تطالب حتى شروط النضال الذي يخوضه البشر في سبيل الهيمنة على بيئتهم وزيادة مواردهم ، إنها عملية تغيير تطالب المجتمع كله .

هذه المرة لم يعد الأمر يقوم بتزويد الناس بأجهزة انتاج أكثر فاعلية بل بات يقوم في استبدال العمل الصناعي الذي يقوم به الناس تدريجياً ، بعمل تؤديه الآلات المبرمجة التي بإمكانها انتاج كل شيء بسرعة أكبر وتكاليف قليلة . إن هذا التغيير الحتمي مرجو بقوة . فهو سيؤدي الى زيادة المبادلات والحاجة الى المعلومات ، وهو يؤدي كذلك أيضاً في حركة واحدة إلى أفضل استخدام ، وتنمية وتعميق وتطوير للمقدرات البشرية الفردية الكامنة .

فمع تطور العلوم تطور علم النفس الهندسي الذي يقوم بتحديد وتنمية مواهب الإنسان الفردية بشكل يؤدي الى توزيع دقيق للقدرات البشرية يؤدي الى تحقيق انتاجية متطورة .

ولقد وعى المسؤولون السياسيون للأوبك هذه المسألة ، أي مسألة التطور التكنولوجي للبلدان المتطورة ، فطالبوا بعد اجتماعهم في آذار ١٩٧٥ ، وباسم كل شعوب العالم الفقيرة وللمرة الأولى ، بعملية « تسريع سيرورة التنمية عبر عملية نقل للتكنولوجيا الحديثة » .

لكن الغرب الذي لا يهيمه تطور البلدان التي تعتبر أسواقاً لمنتجاته ، استشعر هذه الدعوة بوصفها عدواناً ، وفضل تجاهلها وعدم العمل بها ، آملاً في أن مبالغتها ولا واقعيتها سوف لا يجعلانها (أي دعوة تسريع عملية نقل التكنولوجيا) تتحقق .

ولقد وعى مفكرو الدول النامية أهمية نقل التكنولوجيا والمعلوماتية أيضاً كوسيلة للتنمية تساعدهم في القفز فوق العصر الصناعي الذي يحتاج إنشاؤه إلى 150 سنة ، بينما تحتاج التنمية بنقل التكنولوجيا المتطورة ، ونقل المعلومات المخزنة في الغرب وفي الدول المتطورة ، واستعمال الوسائل التكنولوجية والصناعية الحديثة التي أفرزها المجتمع المعلوماتي والثورة التكنولوجية الحديثة ، الى جيل واحد فقط ، يتم تكوين خصائصه الفكرية والانتاجية والاجتماعية الثقافية بفترة لا تزيد عن ثلاثين سنة نستطيع من خلالها إقامة أو تنظيم مجتمع جديد متطور من الناحية الفكرية والعلمية وقادر على القيام بالمهام المطلوبة منه في حقل مراقبة الإنتاج المسير آلياً ، واستيعاب عمل المصانع والمعامل والآلات المؤتمتة . هذا الجيل يكفي لظهوره فترة من التدريب الخاص مرفقة بعملية نقل سريعة للمعلومات المخزنة في بنوك المعلومات الغربية والتي سيساعد تطور أنظمة الاتصالات اللاسلكية والكمبيوتر في تسريع عملية النقل هذه بالشبكات المعلوماتية التي تقيمها الدول النامية المتطورة على أراضيها ، والتي بإمكان أكثر الدول شراءها .

لكن خوف الدول الكبرى العسكري يجعل عملية نقل التكنولوجيا بطيئة ، لأن كلا الدولتين الأعظم تحيط الانتاج المتطور من التكنولوجيا الحديثة بسرية تامة خوفاً من عمليات التجسس والنقل والسرقة لأن

المحرك الرئيسي لدوامة التطور التكنولوجي هي الأسلحة الحربية المتطورة .

2- الدخول في العصر الجديد

إذن ، ينبغي على العالم الثالث أن يختار الدخول في هذا العصر الجديد ، من دون العبور بمراحل مسبقة قد يكون من شأنها أن تزيد من حدة تأخرها . إن البرمجة ستطبق وتؤقلم تبعاً لاحتياجاتها الخاصة ، والعمال الآليون سيكونون مهئين لوضعهم قيد العمل في كل مكان وبنفس السعر . وسوف تكون المعلومات والمعطيات والمعارف ، تحديداً في كل مكان وبنفس السعر .

إن عملية النقل الوحيدة التي تهم العالم الثالث ، والتي سيرتبط بها كل تطور في هذه الدول ، هي عملية الانتقال بكل شعب وكل إنسان من المرحلة التي يكون فيها مفتقراً الى وسائل التعليم الى المرحلة التي يمكنه الانطلاق منها بتنمية مقدراته وإمكانياته وإبداعيته .

ما الذي ينبغي عمله لكي يمكن لهذا النقل أن يبدأ باتجاه البلدان الواسعة والفقيرة ؟

شيء آخر غير عملية نقل الآلات البائدة ، و شيء آخر غير عملية تزويد تلك البلدان بمعدات الاسمنت والصلب ، أي تلك التي ترافق عملية التصنيع الكلاسيكية . أي أن الأمر يقوم الآن في تحديد وتشغيل واستعمال واستيعاب الطرق الجديدة والوسائل الخاصة المستعملة في مجتمع معلوماتي متطور .

ولقد دلت التجارب السابقة ، وحين بدأت بعض الدول النامية

محاولة انطلاق واسعة في عملية تطوير لإمكاناتها الداخلية ورفع مستوى شعوبها ، أنها تمسكت بالشرق ودخلت في أحلاف معه بعدما رفض الغرب تطويرها لكي يحافظ على استغلاليتها لها كسوق تصريف لمنتجاته . لكن سعيها الدائب للتطور والتصنيع ، ورفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، أدى دائماً ، مع استثناءات قليلة ، الى زيادة المشكلات وتعميق الفجوة بين الناس والحكومات ، ولم يستطع الشعب أن يستوعب التطورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الحاصلة (مصر ، غينيا ، السودان . .) ، فكانت النتيجة أن اقتلع الناس من أراضيهم ودفَعوا للعيش في مدن أصابتهم بالسوء .

وحدث أيضاً أن تطورت قطاعات انتاجية أغلبها يعتمد على التجارة من دون أن يؤدي هذا التطور إلى استحداث طرق انتاجية جديدة وبالتالي معالجة البرنامج الاقتصادي بشكل منظم لا يؤدي الى الوقوع في هزات اقتصادية . ويجعل المنطقة معتمدة اعتماداً كلياً على التطورات الصناعية والاقتصادية والسياسية الخارجية الفاعلة على الأرض (لبنان مثلاً قبل الحرب الأهلية ، وفي أثناء الحرب) .

إن ما ينبغي الانتباه إليه هو اللامركزية في التنمية والتخطيط مع برمجة عامة ، وضمن إطار عام ومركزي يدخل في عملية التكامل الاقتصادي والفكري بين مختلف المناطق مع عملية توزيع متوازنة للخدمات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية تؤدي إلى تخفيف في حدة الفروقات الاجتماعية والسياسية الوطنية لمختلف الكتل البشرية في مختلف المناطق .

كما ويجب دراسة وفهم طبيعة البلد والمنطقة الانتاجية ، لإقامة الترابط

العضوي الانتاجي بين مختلف المناطق ، مع ربط المنطقة اقليمياً ومن الناحية الصناعية والاقتصادية والثقافية بحاجات الدول الأخرى ، بحيث يشكل هذا الربط عاملاً في تطور المنطقة وليس عائقاً في هذا السبيل ، أي يجب فهم متطلبات الانتاج الضرورية للمنطقة بشكل منعزل وللحارج بشكل عام لكي تؤدي دورة الانتاج الى عمل متواصل في سبيل تنمية المنطقة وإثرائها .

ولقد وعى أحد المهتمين بالعالم الثالث ، موريس غارنييه هذه الأمور حين لفت الأنظار الى الحاجات الضرورية التي تملئها الطبيعة والعقل لإخصاب الأراضي باستعمال المواد الكيماوية الضرورية والمفيدة ، ولجم الهجرة من الريف بتأمين وسائل العمل وتسهيل المواصلات وإقامة المؤسسات التعليمية ووسائل الترفيه ، أي في النضال ضد العمرنة والإقامة في المدن (حيث توجد أحزمة الفقر) . وإيجاد اللامركزية الإدارية لتسهيل أعمال المواطنين ، وجعل الناس يشعرون بالمسؤولية بدلاً من جعلهم يشعرون بأن ما يقدمونه للوطن سوف يعود عليهم بالراحة والأمان في المستقبل .

إحدى المشكلات التي تعترض بلدان العالم الثالث ، والتي تجعله عرضة للهزات الاقتصادية وشلل قطاع كبير اقتصادي هو القطاع الريفي ، وهجرة الريف والقرية ، مما جعل مدناً عملاقة تنشأ من دون تخطيط اقتصادي بينما هجرت قرى كثيرة وأهملت الأراضي الزراعية المنتجة التي لو تم استغلالها بالشكل الصحيح لقضت على الفقر في الكثير من البلدان . كما وكان من نتائج هذه السياسة خلق طبقة من الناس ساقطة اجتماعياً نتيجة العيش في أكواخ لا تساعد على مستوى معيشي متقدم . وجيل من

الشباب مهدد بالفلتان الاجتماعي والسياسي وساقط من الناحية التربوية والأخلاقية والثقافية (البرازيل ، لبنان ، مصر والعراق) . وأهمية التربية والتنمية الثقافية ونقل المعلومات بجميع فروعها تعتبر ذات أهمية قصوى خصوصاً للمناطق البعيدة عن العاصمة . ولقد أدرك مورييس غارنييه غلط الوسائل الجديدة التي تتيح لا مركزية حقيقية ، وهو يصف تلك الوسائل التي تستطيع الدخول في صلب كل بيئة انسانية كالآتي : « لقد بالغنا دائماً في الاعتقاد بأن التنمية لا يمكن لها أن تكون سوى تنمية اقتصادية بينما هي ، وبصورة أساسية ، سوسيولوجية وانسانية فكرية . لقد عثرت في بعض قرى آسيا وأفريقيا على مستويات غمو حقيقي وجدتها أعلى مما هي عليه الحال في بعض أنحاء نيويورك أو شيكاغو .

إن تنمية العالم الثالث ، لا يمكنها أن تتولد إلا عن التآلف التام للبشر ، ومن الضروري الآن وقبل أي شيء آخر وقف الهجرة الريفية وللجم التطور البشع الذي تعيشه بيوت التكنك المتفاقمة في كراكاس ولاغوس ولبنان وغيرها » .

عملية اللجم هذه تكمن في القفزة النوعية الى المجتمع المعلوماتي ، الى التنمية الفكرية للمواهب الحقيقية الكامنة في الأفراد ، ذلك هو الهدف البعيد الذي ينبغي أن تعمل لأجله كل دولة وتسخر له طاقاتها من أجل الوصول الى مستوى فكري وعلمي متطور .

لكن ، كيف يمكن تطبيق هذه الرؤية ؟

الجواب هو في المعلوماتية . والمجتمع المعلوماتي ، مجتمع الإنسان الآلي ، أو طبيعة البنى اللامادية نفسها التي تبنى انطلاقاً من ذاكرات

معلوماتية ، ومن مراكز عالمية مشتركة بين الجميع ، ومن معطيات ومعارف يمكن وصلها عبر أقنية تصل إلى كل نقطة في كل بلد ، ومن شبكات اتصالات عبر المسافات تلغي الأبعاد وتحل مكان جزء كبير من احتياجات نقل البضائع والرجال .

إن عملية إيجاد لجان في الأحياء ولجان قروية تكون مهمتها تنظيم العلاقات البشرية ومناهج الانتاج الزراعية والثقافية والاجتماعية في القرية ، والصناعية والاجتماعية في المدينة ضمن تصور وبرنامج عام ، ستستطيع أن تصل إلى هذا إذا كانت مرتبطة بتلك المراكز والشبكات التي تنقل إليها المعلومات والمعارف والتعليم والطب ، وتزودها بوسائل تنميتها الذاتية - شرط أن تكون حائزة ، من أجل تكييف واستثمار المعلوماتية ، على عدد قليل من الوسطاء التقنيين أو المهنيين أو المهندسين والذي يصفهم غارنييه بدقة تتيح منذ الآن إدراك الكيفية التي يتم بها توطيد المجتمع المبرمج لدى الجماعة المحلية : « ويقوم ذلك في إنشاء مجلس قيادة مصغر في كل جماعة إقليمية صغيرة أو قرية لا يزيد عدد سكانها عن 50 ألفاً ، يكون مؤلفاً من مهندس زراعي وطبيب ومدرس ، هؤلاء سيكونون مستشاري التقدم في خدمة القرى .

كما ويجب تعيين وسطاء لنقل النصائح والمعلومات بين الجماعات ، ونشر الاستشارات ، والخوؤل دون حدوث الأمور الطارئة التي قد تؤثر على وضع القرية أو المنطقة من النواحي الصحية أو الاقتصادية أو الاجتماعية .

ومن أهم المشاكل التي ستواجه المرشدين التقنيين والمستشارين ، كيفية إيصال المعلومات اللازمة ، وكيفية الاتصال بالنقاط الأساسية أو

النقاط الأم . وهذا يتم عبر تطوير نوعية لأساليب الاتصال ، وباستعمال شبكات المعلوماتية التي ترتبط بمركز رئيسي هو المركز الأم ، الذي به يتم حفظ وتجميع المعلومات ، وإرسال المعلومات الضرورية والنصائح أما تجهيز الشبكات المعلوماتية وتأهيلها فتقوم به الدولة ، ولا توجد دولة راقية الآن من دون وجود هكذا مراكز يتم فيها تجميع وتوثيق المعلومات الواردة عبر شبكات التلفزة التي بواسطتها يتم نقل المعلومات وتجميعها .

من الذين وعوا أهمية شبكات الاتصالات المعلوماتية في التنمية المستشار النمساوي برونو كرايسكي ، إذ يقول في ندوة نيودلهي التي نظمتها الأمم المتحدة حول عقدة التنمية برئاسة أنديرا غاندي :

« أنا لن أكف أبداً عن القول ان نقطة انطلاق كل جهد متناسق تكمن في تحديد البلدان المتطورة كمهمة لها : جعل العالم الثالث قادراً على الحصول على شبكة البنى التحتية الحديثة المتكيفة مع الأوضاع الجديدة للاقتصاد وللتكنولوجيا ، تلك الشبكة التي يمكن لكل بلد من بلدان العالم النامي ، إنطلاقاً منها أن يستغل ثرواته الخاصة أفضل استغلال ، ويعثر على سبيل التنمية الخاصة به . فإذا عرفنا كيف نزوده بما يحتاجه ، سيعمل كل بلد تبعاً لثقافته الخاصة وإبداعيته الخاصة ، وتبعاً لقدراته الخاصة على الابتكار » .

ويضيف كرايسكي : « إن إقامة المصانع الكبيرة وشبكات السكك الحديدية والطرق والأقنية ، احتاج الى عشرات السنين ، ولكن اليوم نحن بحاجة الى شبكات الاتصالات البعيدة المدى والمعلومات المبرمجة ، ونشر التعليم والتدريب تبعاً للتكنولوجيا الأكثر حداثة ، ومن البديهي القول أن الحصول على هذه الشبكات من دون المرور بفترة انتقالية هو الحق المطلق

للشعوب التي تريد أن تتطور . إن من واجبنا ومن مصلحتنا تمكين تلك الشعوب من الحصول على هذه الشبكات وتشغيلها . صحيح أن الأمر بحاجة الى خطة مارشال جديدة لكنها خطة مكيفة مع زماننا ومع الطبيعة الجديدة للاقتصاد .

المشكلات والحل

إن مشكلات العالم الثالث لن تحل إلا بوضع برامج تدريب وتأهيل جماهيرية بطابع عالمي تشرف عليها الأمم المتحدة وتساهم فيها الدول الغنية والمتطورة ، ولقد كان من المستحيل التفكير بهذا قبل الثورة التكنولوجية الحديثة .

ولا بد من الإشارة هنا ، وعلى سبيل التذكير ، إلى أن أغلب البلدان العربية ، ومنها لبنان لا تزال تفتقر الى العديد من القواعد الأساسية للتنمية . فلا وجود في هذه البلدان للمراكز المعلوماتية و لشبكات الاتصال الحديثة ومن الضروري تحديث شبكات الطرق والمواصلات والإتصالات على أنواعها لكي تساهم في عملية نقل التكنولوجيا الغربية المتطورة الى لبنان والمنطقة .

وما لا ريب فيه أن رفع مستوى شعوب العالم الثالث وتنمية بلدانه أمر بالغ الأهمية . فالأزمات السياسية والاقتصادية التي تتخبط بها هذه البلدان تهدد ، من دون شك ، مصير العالم بأسره ، كما تهدد حياة ومصير شعوبها . فموت الآلاف من الجوع وتشريد الملايين من السكان قضية بالغة الخطورة وعلى العالم المتطور أن يعي أهمية ذلك . فبدلاً من تكديس الأسلحة وصرف المليارات عليها ، من الضروري إشراك العالم الثالث بهذه المليارات بهدف تنميته ورفع مستوى شعوبه .

خاتمة

إن الزيادة المتواصلة في إنتاجية العمل في المجتمع هي التعبير المركز عن الطابع التقدمي للعلاقات الإنتاجية ، التي تفتح آفاقاً واسعة أمام الزيادة المتسارعة في القوى المنتجة ، وأمام تطور التكنيك السريع .

وعلى أساس التقدم التكنولوجي يحدث تطور سريع وإيجابي في نوعية العلاقات بين أفراد المجتمع يؤدي الى إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية وعدم الشعور أو التفكير بالغبن .

إن ظهور الآلات المؤتمتة الناجمة عن التطور السابق للتكنيك يصبح في ظروف تعقيد التجهيزات الآلية والعمليات الإنتاجية الصناعية المنفذة ، في ظروف تعاظم الحاجات الى دقة وسرعة في العمل ، بحاجة إلى قدرة بشرية ، رديفة من نوع جديد .

وفضلاً عن العوامل الثلاثة الملازمة للآلة ذات النموذج الكلاسيكي ، وهي المحرك ، وجهاز إيصال الحركة ، والآلة العاملة ، تشمل الآلة المؤتمتة على عنصر التنظيم المؤتمت للعملية الإنتاجية وإدارتها .

بين هذه العناصر آلات الإدارة المؤتمتة السيبرنية (Cybernetic) التي تقوم برقابة وإدارة العمليات الإنتاجية الدقيقة .

إن نظام الأتمتة - يجعل دور الفرد العامل في عملية الإنتاج مقتصرأ

على - رقابة الإنتاج والإبتكار المرادف للإبداع الخلاق . فضلاً عن ذلك فإن دور العمل البناء يتعاظم .

بيد أن إنشاء التجهيزات المؤتمتة وتحسينها والإشراف على عملها يصبح الخط الرئيسي لنشاط الإنسان ، وهذا هو التغير الذي سيحصل في نوعية عمل الإنسان وفي حياته الثقافية .

ويتطلب تطور الإنتاج المؤتمت المعقد التجهيز والمجهز بالإنسان الآلي، كادرات للعمل من نوع جديد، كادرات صناعية مثقفة ثقافة جديدة ترتدي البرانيس البيضاء ، كما ويتطلب انعطافاً جذرياً في بنية الانتاج الاجتماعي ، وتوسيعه في مصادر الطاقة القائمة ، واستخدام طاقات جديدة ، وتغييراً نوعياً في مواضيع نوعية العمل ، وتحسين أشكال التنظيم والإدارة وزيادة في دور العلم ، وهو أمر يحدد محتوى الثورة العلمية التكنولوجية الحديثة والوجهات الأساسية لتحسين الانتاج .

ويحدث الانتقال إلى أتمتة الانتاج من خلال سياسة اقتصادية وصناعية شاملة متصلة أوثق الاتصال بتطور علوم السيبرنيات والالكترون ، وتطور علم النفس الهندسي الذي يدرس مجالات عمل كل فرد من أفراد المجتمع وينمي مواهبه وقدراته التكنولوجية والفكرية بشكل يؤدي الى توزيع أفضل للمواهب وتحديداتها وتنميتها . وتعتبر الانعطافات النوعية الحادثة في مواضيع العمل وتطور الانتاج . واستخدام المواد الاصطناعية التركيبية الجديدة في الصناعة أساس الثورة الصناعية الجديدة .

وإن تطور كيمياء التركيب العضوي يؤدي إلى صنع لدائن البلاستيك والراتنجات التركيبية التي تحل محل المعادن الطبيعية ؛ وكثيراً ما تفوقها بخصائصها الفيزيائية الكيماوية وإلى صنع لدائن البلاستيك وخيوط

النايلون الاصطناعية التي تفوق بجودتها القطن والصوف . ويتيح استخدام الطرق الفيزيائية الكيميائية الجديدة إمكانية استخدام مثل هذه الأنواع من المواد الأولية الضيومية كما النفط والخشب والفحم استخداماً أكثر تعقيداً ولتسريع عمليات صناعة التعدين . . .

إن دراسة واستخدام العمليات الفيزيائية الكيميائية والكهربائية والبيولوجية والإلكترونية يجب أن تكون مهمة أساسية لرجال الاقتصاد والسياسة من أجل تطوير المجتمع .

إن نشوء منظومة للآلات من نوع جديد والاستخدام الواسع للكمبيوتر والروبوت (إنسان آلي) وتطور علوم السيرينات والبيونيك واستخدام أنواع جديدة من الطاقة والتطورات الحادثة في مواضيع العمل ترتبط بالثورة العلمية الحديثة .

ويتحول العلم أكثر فأكثر الى قوة إنتاجية مباشرة وإلى شروط لضرورة لتطوير الانتاج . إنه يؤثر على إنشاء إدارات جديدة للعمل ومواضيع جديدة له وعلى تكوين شغيلة الانتاج وارتفاع مستوى تأهيلهم وهو يعالج الأشكال العقلانية لتنظيم العمل والانتاج وطرق إدارة الاقتصاد . ويتطلب رفع مستوى تخصص الانتاج ونشر التعاون فيه واستخدام طرق السلاسل فيه ، وتحديث تخصص الآلات ، يتطلب توحيد حلقات وأجزاء المصنوعات الناتجة وجعلها من نمط واحد .

إن توطيد العلاقات الانتاجية بين المؤسسات في أعقاب التخصص ونشر التعاون يشترط تطوير الطابع الاجتماعي للانتاج ويشد ترابط المؤسسات داخل الفروع وفيما بينها وبين المناطق الاقتصادية . إن رفع

الفعالية الاقتصادية فعالية المؤسسات الضخمة وفي أعقاب التخصص والتعاون الاقتصادي يساعد عملية تمركز الإنتاج . وإلى هذا الأمر يؤدي ذلك الى حرمان الأفراد من حقوقهم وحجز حريتهم والى عدم إطلاق روح المبادرة الفردية فيهم . أي لا مانع من إقامة العلاقات الانتاجية بين المؤسسات الصناعية والزراعية والتجارية ولكن دون إكراه في ذلك لأن الإكراه سيؤدي الى تسيير للفرد والانتاج وتقييد للاقتصاد ولوسائله .

المراجع

- 1- سيرة المصطفى ، هاشم معروف الحسني، دار القلم .
- 2- الكتل الاجتماعية بين مفهومين . الدكتور عبد الحسن الحسيني جريدة السفير 1985 .
- 3- إقتصادنا ، السيد محمد باقر الصدر . دار التعارف .
- 4- فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر . دار التعارف .
- 5- رأس المال ، كارل ماركس .
- 6- خطوة إلى الأمام خطوتين إلى الوراء . لينين .
- 7- الفقراء في ظل الماركسية والرأسمالية والإسلام . محمد الفروي . دار التعارف .
- 8- صور مشرقة من وهي الاسلام . هاشم معروف الحسني . دار القلم .
- 9- التكامل في الإسلام . أحمد أمين . دار المعرفة .
- 10- الأنثروبولوجيا ، الذاكرة والمعاش . محمد حسين دكروب . معهد الإنماء العربي .

صدر للمؤلف

- 1 - الكمبيوتر والبرمجة باللغات : بازيك ، فورتران اسمبلر ، ب ل ا ،
باسكال . جزئين . دار القلم 1983 بيروت .
- 2 - المساعد في البرمجة « فورتران » . دار القلم 1984 بيروت .
- 3 - المساعد في البرمجة « بازيك » مؤسسة مجد للدراسات الجامعية بيروت
1985 .
- 4 - البرمجة بلغة كوبول . دار القلم 1983 بيروت .
- 5 - تصميم أنظمة التحكم بالميكروبروسور لحماية المحطات الكهربائية .
معهد الإنماء العربي . بيروت .
- 6 - الميكروبروسور والميكروكمبيوتر . برمجة وتصنيع . دار القلم 1985 .
- 7 - Micro processeur et Micro ordinateur programmation- realisation- applications
 منشورات الجامعة اللبنانية - تحت الطبع .

فهرست

الموضوع	الصفحة
إهداء	5
دراسات إسلامية مقارنة لقضايا الحياة الفكرية والعملية ، بقلم العلامة السيد محمد حسين فضل الله	7
مقدمة الكتاب	11
معالم الثورة التكنولوجية الحديثة	13
الآثار الاجتماعية والاقتصادية للثورة التكنولوجية	19
العلم والدين	48
دور المجتمع المعلوماتي في تنمية العالم الثالث	53
خاتمة	65
المراجع	69
صدر للمؤلف	70

« الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تُلزم
إلا صاحبها وهي للمناقشة بهدف
التوصل إلى حلول أفضل »

1986- 8- 235

هذا الكتاب

يبحث هذا الكتاب في أثر التطور السريع
للتكنولوجيا والصناعة المؤتمتة ، على الأنظمة
الاقتصادية المختلفة ، وبالأخص الشيوعية
والرأسمالية . كما يدرس التأثيرات
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه
الثورة التكنولوجية ، وأثرها في مجال تنمية
العالم الثالث .

2273

ح